

محمود كامل

المحامي بالنقض والإبرام

١٩٤٩

عن دار الجامعة للطبع والنشر

٤٧ شارع قصر النيل تليفون ٤٣٧٢٨

الثمن ٥ قروش


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



محمود كامل

المحامي بالنقض والإبرام

١٩٤٩

عن دار الجامعة للطبع والنشر

٤٧ شارع قصر النيل تليفون ٤٣٠٢٨

للمـــــــؤلف

كتب ودراســات قانونية واقتصادية

مصر الغد تحت حكم الشباب : برنامج للإصلاح السياسى والاقتصادى (١٩٣٩)

السيادة المصرية وموقف مصر كعضو فى أسرة الدول : بحث فى معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وانجلترا : مجلة « المقتطف » .

لائحة بيوت العاهرات والأوامر العسكرية المكملة لها : بحث قانونى مقارن فى التشريعات الخاصة بالرقيق الأبيض : مجلة « القضاء المصرى »

أسماء بارزة فى تاريخ المحاماة بفرنسا : دراسة « بيوجرافية » لطائفة من أشهر المحامين الفرنسيين : مجلة « المحاماة » .

يوميات محام مصرى : الجانب الإنسانى من حياة المحاكم مكتبة النهضة (١٩٤٤)

العمل لمصر : بعث دولة وإحياء مجد - دار الجامعة (١٩٤٥)

أشهر القضايا المصرية دار الجامعة (١٩٤٦)

وحدة مصر والسودان فى فقه القانون العام: مجلة « الجامعة » (١٩٤٦)

حرب مئة العام فى فلسطين: مجلة « الجامعة » (١٩٤٨)

مســــــرحيات

حسن : ترجمة عن Elroy James Flecker . اشترتها شركة ترقية التمثيل العـــربى (١٩٢٤) .

الوحوش : مثلت على مسرح رمسيس سنة (١٩٢٦) . درامة مصرية
فاطمـــة : « « « حديقة الأزبكية سنة (١٩٣٩). درامة مصرية
سافــو : « « « الأوبرا الملكية ســنة (١٩٢٥) ترجمة عن
Alphonse Daudet
المنـــتقم : « « « برنتانيا سنة (١٩٣٦) مقتبسة عن مسرحية
Emile Fabre ل Un Grand Bourgois
الأفــاعى : مقتبسة عن مسرحية La Maison d 'Argile ل Emile Fabre اشترتها
الفرقة المصرية للتمثيل والموسيق (١٩٣٧)
حياة الظلام: قصة سينيمية أخرجتها شركة مصر للتمثيل والسينما (١٩٤٠)

أدب وقصص

روبين هود : ترجمــة عن الإنجليزية مكتبة حسين حسنين
صيحات جديدة فى النقد والفن والأدب : دراسات أدبية وملخصات
مسرحية (١٩٣١)
المتمردون : مجموعة قصص مصرية دار الترقى (١٩٣٢)
فى البيت والشارع : مجموعة قصص مصرية المكتبة المصرية(١٩٣٢)
المسرح الجديد : مجموعة ملخصات مسرحية دار الهلال (١٩٣٢)
٨ يوليــو : مجموعة قصص مصرية دار الجامعة (١٩٣٣)
بائع الأحلام : مجموعة قصص مصرية دار الجامعة (١٩٣٥)
أول ينــاير: « « « دار الجــامعة (١٩٣٦)
٣٠ : « « « « دار الجــامعة (١٩٣٦)
أنت وأنــا : ترجمة عن كتاب Toi et moi ل Paul Cerlady ومجموعة
قصص مصرية دار الجــامعة (١٩٣٧)

الربيع الآثم : مجموعة قصص مصرية   دار الجامعة (١٩٣٩)
حياة الظلام : قصة مصرية طويلة ـ مطبعة المعارف ومكتبتها (١٩٤٠)
زوبعة تحت جمجمة : مجموعة قصص مصرية   دار الجامعة (١٩٤١)
عيون معصوبة : شعر منثور ومجموعة قصص مصرية
دار الجامعة (١٩٤١)
الرجال منافقون : مجموعة قصص مصرية
مطبعة المعارف ومكتبتها (١٩٤٢)
حطام امرأة : مجموعة قصص مصرية
مطبعة المعارف ومكتبتها (١٩٤٣)
لاعبات بالنار : مجموعة قصص مصرية   دار الجامعة (١٩٣٤)
فتيات منسيات : « « دار الجامعة (١٩٤٦)
القافلة الضالة : « « دار الجامعة (١٩٤٦)
آبار فى الصحراء : « « شركة التوزيع المصرية (١٩٤٨)
بين حطام ألمانيا : رحلة الى المانيا المحتلة . دار الجامعة (١٩٤٩)

بالإنجليزية :

Blue Winge : مجموعة قصص مصرية ـ تولى ترجمتها إلى الإنجليزية الأستاذ
جيرالد براكنبرى   دار الجامعة (١٩٤١)

بالفرنسية :

Zahira : مجموعة قصص نشرتها La Semaine Egyptienne (١٩٤١)
L'Action Egyptienne : مجموعة دراسات عن الإصلاح السياسى والاجتماعى
ترجمها إلى الفرنسية الأستاذ بلاتون فالاسكاكيس (١٩٤٦)
Journal d'un avocat Egyptien : ترجمة كتاب « يوميات محام مصرى »
(١٩٤٦)

مقدمة المؤلف

هذه حياة بضعة أيام عشتها مع عشرة مؤلفين . بين صفحات عشرة كتب . وهؤلاء المؤلفون العشرة لا صلة بين الواحد منهم والآخر : فنهم الفرنسي . ومنهم الانجليزى . ومنهم الأميريكى . كما أنه لا صلة إطلاقا بين موضوع كل كتاب من الكتب العشرة والكتاب الآخر . فانك واجد فى هذه الملخصات حديثاً عن الاسلام فى الهند الى جانب حديث عن الاستعمار الاوروبى فى أفريقيا . أو مشكلة السود فى الولايات المتحدة . كما أننى قصدت أن أقدم ملخصات بعض المسرحيات الأوروبية التى اعتدت أن أقرأها . الى جانب كتب الأدب والتاريخ والاقتصاد لتعيننى على استيعابها .

هذا الكتاب إذن نوع من « مذكرات » قارىء عن عشرة كتب عاش مع مؤلفيها بضعة أيام فقدمها الى قارىء آخر قد لايتسع وقته الآن لأكثر من ساعة وبعض الساعة يعيشها مع هذه المذكرات .

محمود كامل
المحامى

الأسلام امام العالم الحديث

L' ISLAM
DEVANT - LE MONDE MODERNE

هذا كتاب ظهر حديثا فى فرنسا وقد ذكر مؤلفه Alphonse Gouilly فى مقدمته «ان الإسلام كما يتضح من القرآن قاعدة من قواعد حياة الفرد، ولما كان الفرد يعيش فى المجتمع مندمجاً مع غيره من الجماعات الانسانية فان الاسلام لم يكن دائماً يعد مذهبا دينيا فحسب بل حقيقة سياسية ، والغرض من هذا البحث هو اظهار حقيقة القوة المادية للاسلام فى الظروف الحاضرة ، وهذه القوة يمكن أن تستخدم نفسها . أو يستخدمها الغير . اعنى أنها يمكن أن تعمل لحساب نفسها مستقلة . أو يمكن أن تتعاون معها الدول الكبرى العالمية على العمل ، والأراضى التى ينتشر فيها الإسلام من الأراضى التى تستعمرها الدول الغربية ، وقد نتج عن ذلك أن تطور حالة المسلمين السياسية أصبح من عوامل المسألة الاستعمارية » .

ويبدو من هذه الفقرة من مقدمة المؤلف أنه توفر على دراسة الإسلام فى العصر الحديث لكى ينير لفرنسا ولغيرها من الدول الاستعمارية طريق المشاكل التى تعترضها بسبب يقظة المسلمين ، وتنبههم إلى حقوقهم التى هضمتها السياسة الاستعمارية ، ولذلك تعمد فى كثير من فصول الكتاب أن يذكر الحقائق التاريخية عن كل قطر اسلامى تعرض له وان يندد ـ فى تفكير على نزيه ـ بمبادىء الدول الغربية واثامها التى ارتكبتها فى الأقطار الإسلامية.

ومن فصول الكتاب التى تهم العالم الاسلامى فى الوقت الحاضر فصل أفرده «الفونسى جوبى» عن «الهند» التى لاتزال الأنباء تردتباعا بالمذابح التى ترتكب فيها بين المسلمين والهندوس بعد إنشاء دولتى «الباكستان» «والهندستان»، وقد بدأ هذا الفصل بان قرر أنه «إذا كانت بريطانيا العظمى تبدى قلقا مما يحدث فى فلسطين، وإذا كانت تبذل جهوداً تستنفد الصبر لكى تصل إلى حل سلمى لكل مشكلة تعترضها مع أية دولة فى العالم وخاصة مع العرب، فانها انما تفعل ذلك لكى تتلافى الأثر السيء الذى يحدثه غضب هؤلاء العرب فى رعاياها المسلمين بالهند، فهؤلاء المسلمون الهنود يبلغ عددهم تسعين مليونا أى ٢٣٪ من مجموع سكان الهند وأكثر من ثلث مسلمى العالم وهم موزعون على كافة انحاء الهند ولكن نفوذهم هو النفوذ الغالب فى أربع ولايات وهى البنغال Bengale وكاشمير Cachemire وبنجاب Punjab وولايات الشمال الغربى، وجغرافية الهند تفسر توزيع المسلمين على انحاء الهند المختلفة، فقد غزا الاسلام الهند عن طريق الافغان وبلوخستان ولذلك نرى الإسلام منتشرا على الحدود المشتركة بينهما وبين الهند، ولكن مما يثير الدهشة أن نجد فى شرق الهند. أى فى بنجال الشرقية. أن نسبة المسلمين تبلغ ٦٦٪ من مجموع عدد سكان الولاية، ووجه الدهشة أن الغزاة المسلمين قد تجاوزوا دلتا نهر جانج Gange بعد أن عبروا ممر خيبر، ولم يكتفوا بالاستقرار فى الأرض التى كانت مسقط رأس بوذا بل أنهم تناسلوا وتكاثروا فيها حتى أصبحوا غالبية السكان فيها، وقد فسر الأستاذ ده جرانجينوف de Grangeneuve فى محاضرة القاها عن «الإسلام فى الهند» هذه الظاهرة بان الإسلام لم يلتق هناك إلا باجناس منغولية لم تصلها الحضارة البرهمانية، وعلى العكس من ذلك نجد أن الولايات المتعصبة للبرهمانية

كراجبوتانا Ragputana وبيبار Bibar لاتزيد نسبه المسلمين فيها عن ١٢ ٪ من مجموع السكان ، وكلما اتجهنا إلى الجنوب كلما قلت نسبة المسلمين . وفى ولاية ميسور Mysore لاتزيد النسبة عن ٦ ٪ رغم الجهود العنيفة التى بذلها فى القرن الثامن عشر سلاطين سير ينجاباتام Seringapatam وأشهرهم « تيبو صاحب » لنشر الإسلام .

ولكن هذا التوزيع الجغرافى للمسلمين فى الهند له استثناء يبدو فى شاطىء شبه الجزيرة الهندية الغربى الذى كان يرسو عليه البحارة العرب شتاء لملاءمة أحواله الجوية لسفنهم فى هذا الفصل من السنة ، كما كانوا يرسون صيفا على شاطىء مدغشقر ، وقد انشأ العرب على تلك الشواطىء مؤسسات لاتزال باقية ، ولكنهم لم ينشروا الحضارة الاسلامية فى الأنحاء البعيدة عن الشواطىء فى داخل الهند ، وهذه الظروف الخاصة تلقى الضوء على توزيع المسلمين على أنحاء الهند ، فنواة هؤلاء المسلمين الأولى جماعة من الهندوس ينتمون الى أصل آرى أو الى أصل درافيدى Dravide وهى القبائل التى فى عروقها آثار دماء زنجية وتقطن جنوب آسيا من الهند الى آنام والتى اضطهدها البراهمة وعاشت دائما فى مستوى اجتماعى أحط من مستواهم ، ونخبة المسلمين فى الهند التى توجه نشاطهم تتكون من بضع مئات من الآلاف من العرب والفرس والتركمان المغول وعلى الأخص من ست ملايين من الأفغانيين الذين يمثلون أعرق وأقوى جماعة اسلامية فى الهند ، واللغات التى يتفاهم بها المسلمون الهنود مختلفة اختلافا كبيرا فقد ظلت اللغة الفارسية لغة رسمية الى عام ١٨٣٧ ولا يزال أهل بعض الولايات يتحدثون بها الى جانب اللغات العربية والأردية والهندوستانية والتاميلية ، ولا يوجد فى الهند مكان واحد يعيش فيه المسلمون والهندوس مفترقين . بل ان الاندماج بين الجماعتين

وصل الى حد أن ولاية حيدر أباد التى للهندوس بها أغلبية يحكمها أمير مسلم هو نظام حيدر أباد ، بينما ولاية كاشمير التى لا يكاد يسكنها إلا المسلمون يحكمها أمير من طائفة السيخ . وهى طائفة هندوستانية ، وبالرغم من تفرق المسلمين فى داخل الهند فانهم يكونون وحـدة سياسية متجانسة بالنسبة للشعوب الهندوسية التى يجهل كل منها الآخر ويحتقره بل يحقد عليه فى أغلب الأحيان . وقد تبين الانجليز منذ استقروا فى الهند قوة مسلميها فبدأوا باضطهادهم اضطهاداً بلغ الى حد التوحش فى بعض الأحيان . وهنا يقسم الاستاذ ماسينيون Massignon « فى كتاب دليل العالم الاسلامى » Annuaire du Monde Musulman عصر اضطهاد مسلمى الهند الى ثلاث فترات

ففى الفترة الأولى ألغيت اللغة الفارسية الرسمية عام ١٨٣٧ وقمعت أطماع المغول السياسية قمعاً نهائيا عام ١٨٥٧ وأوقف تعيين القضاء الشرعيين عام ١٨٦٤ .

والفترة الثانية بدأت عام ١٨٧٥ بانشاء الكلية الانجليزية الاسلامية فى اليجار Aligarh . وحاول الانجليز فى هذه الفترة الثانية إغراء العناصر الاسلامية وكان أهم المؤسسات الاسلامية جماعات خدام الكعبة ، وقد انشأ أغا خان عام ١٩٠٦ « رابطة الهند الاسلامية الكبرى » ومن برنامجها « الحصول على حق المسلمين فى أن يكون لهم ممثلون فى الإدارات الأقليمية والمجالس البلدية وأن يضمن لهم الحصول على نسبة أكبر فى الوظائف الهامة » وهذه الرابطة هى التى غذت بلا شك شعور مسلمى الهند بالتضامن والتساند . وأسباب هذه السياسة واضحة فهى تتلخص فيما صرح به لورد ايلفينستون Elfinstone عند ما كان حاكما لبومباى فقد قال :

« فرق تسد . كان شعار الدولة الرومانية القديمة . فليكن شعارنا ! » .

ولقد اعتمد البريطانيون فى الواقع على الحزازات بين الجماعات التى تختلف جنساً وديناً ، وبين الأحزاب والطوائف ، وعلى التباين العميق بين أشكال نظم الحكم التى تفرض على جهات الهند المختلفة ... اعتمد البريطانيون على هذا كله فى تثبيت دعائم سيطرتهم . فلم يكن هؤلاء البريطانيون فى حاجة إلى اثارة العامة من إحدى طائفتى الهند لكى تتحرش بالعامة من الطائفة الأخرى بل إن المشكلة الحقيقية كانت فى منع المشاحنات الدامية بعد أن تنشب بينهما ! ولكن هذا كله لايعنى أن الخلافات الدينية قد أنست الهنود استقلالهم السياسى وسيادتهم الوطنية ، بل بالعكس بدا جلياً أن الطبقات المثقفة من الهنود وضعت المشكلة الوطنية والسياسية فى الاعتبار الأول . فالهندوس والمسلمون يعدون على السواء أعداء للبريطانيين لأنهم سواء فى المطالبة بالاستقلال .

ولقد تبين حزب المؤتمر الذى كان يتزعمه (غاندى) أن المسلمين قد يشعرون بأنهم أقلية ، وقد يخيل إليهم أن خروج البريطانيين ينتج عنه تحكم الأغلبية الهندوسية فيهم ؛ فطالب بإنشاء دولة هندية واحدة ، على أن يكون تمثيل طوائف السكان بنسبتهم العددية .. ولكن الرابطة الإسلامية التى كان (جنه) يرأسها أبت أن تخضع لحكومة هندوسية . ودعت إلى إنشاء دولة الباكستان التى ظهرت فى أسرة الدول أخيراً ... ولقد كان أول من فكر فى إنشاء دولة الباكستان عام ١٩٣٣ زعيم من مسلمى البنجاب يدعى (رحمة رحمة على) وقد اقترح إذ ذاك أن تضم هذه الدولة ولايات البنجاب والسند وبلوخستان والولايات الشمالية الغربية ... وقد وصف الزعيم المسلم الراحل (جنه) لمراسل صحيفة « كريستيان سايِنس مونيتور » الامريكية فى ٢٤ ديسمبر عام ١٩٤١ مشروع إنشاء دولة هندية واحدة بأنه

، لايمكن تنفيذه بسبب أوجه الخلاف العديدة بين الهندوس والمسلمين . وليس هذا الخلاف بينهم وبيننا فحسب ، فهم يختلفون تاريخياً وثقافياً واجتماعياً ؛ بل أنهم على طرفى نقيض . . والواقع أن الهند ليست أمة كما أنها ليست دولة ذات وحدة جنسية ، بل انها تتكون من عدة جنسيات . فالهندوس والمسلمون منذ زمن بعيد أمتان مختلفتان . ولا يوجد حل إلا فصلنا ، لأن تولى الهندوس السلطة السياسية معناه الحلول إلى حد ما فى هذه السلطة محل البريطانيين ثم الاستئثار بها نهائياً ... كيف يمكن تأليف حكومة واحدة إذا كان تسعون مليوناً من المسلمين فى جهة ومائتان وخمسون مليوناً من الهندوس فى الجهة الأخرى ليسوا متفقين على طرق وضع الدستور ولا على الدستور نفسه ؟! »

ولكن المعسكر الاسلامى يضم أنصاراً للتقرب بين طائفتى الشعب الهندى ، ففى الهند حزب إسلامى قديم أسس على النظم النقابية يرأسه عبد الغفار خان الذى نادى دائماً بالتحالف مع أى شخص فى الهند ـ حتى مع الهندوس العدو التقليدى ! ـ لطرد الذين يسودون الوطن ويقصد الانجليز وهذا التحالف يناصره الجناح الأيسر من الرابطة الاسلامية ويجب أن أضيف هنا أن مسلمى الهند رغم متاعبهم الداخلية التى تشغلهم فانهم لاينسون أنهم مع مسلمى العالم اخوه ، فان عدد الذين يحجون منهم إلى بيت الله فى كل عام لايقل عن خمسة عشرة الفا ، وهؤلاء الحجاج يجدون فى المدن المقدسة جالية هندية تقيم بها على الدوام ، ومما قد لايعرفه الكثيرون وان كانت له دلالته اهتمام نظام حيدر آباد بالمسائل التركية فان هذا الأمير قد نشر النفوذ «العثمانى» فى الولايات التى يحكمها ، وقد قيل إنه على استعداد

لمد أمراء آل عثمان بالمال لكى يستعيدوا حقوقهم السابقة ، كما أن مسلمى الهند قد أبدوا فى أكثر من مناسبة تأييدهم للمسلمين فى الخارج ، فقد أعلن جنه فى اجتماع المؤتمر الهندى عام ١٩٤٣ استنكاره للمعاملة التى شاء اتحاد جنوب افريقيا أن يعامل بها الملونين من رعاياه والتى تقوم على التفرقة بين البيض والملونين ، وقد يكون موقفه من هذا الموضوع راجعا إلى اعتبارات خاصة بالتضامن بين أبناء الجنس الواحد لا إلى التضامن الدينى فان مسلمى الهند قد أصدروا فى اجتماع نفس المؤتمر قرارا بالاحتجاج على الاتجاهات التى بدت فى بريطانيا تحت ضغط حكومة الولايات المتحدة لانشاء دولة يهودية فى فلسطين ، كما أنهم أيدوا لبنان فى طلبه إخراج القوات الفرنسية من أراضيه ، وقد طالب مسلمو الهند بانشاء اتحاد بين الدول الاسلامية فى الشرق ، بل ظهر بين بعض المتطرفين من الهنود المسلمين حزب أطلق على نفسه إسم « القمصان السمر » يتزعمه الأستاذ حماية الله جان ، الكاتب الهندى المعروف يدعو إلى إنشاء دولة إسلامية تتزعمها الهند وتضم الدول الاسلامية جميعها ، وقد أسس هذا الحزب عقب رحلة قام بها الأستاذ حماية الله فى ألمانيا عام ١٩٢٨ ، وتنظيمه الداخلى قائم على الأسس العسكرية ، واتباعه يطلق عليهم إسم « العسكر » ، وهدفه العمل على رقى المسلمين وتوحيد كلمتهم وقد حارب أنصار هذا الحزب الذين بلغ عددهم اربعمائة الف الانجليز على حدود البنجاب عام ١٩٤٠ ، ولكن الانجليز تغلبوا عليه وقبضوا على رئيسه فضعف نفوذ الحزب بعد ذلك ، إلا أن مبادئه لاتزال تغرى كثيرين من مسلمى الهند ، بل مسلمى الدول الأخرى الذين يتمنون استعادة مجد الاسلام وهو المجد الذى لايمكن تحقيقه إلا بتوثيق عرى التحالف والتساند والتعاون بين مسلمى العالم .

السُّبحَة

THE ROSARY

« السبحة » The Rosary قصة كتبتها فلورنس باركلاى Florence Barclay لكى يتداولها الناس كقصة تقرأ ، قام بنشرها أحد كبـار الناشرين فى نيويورك بعد أن رفض ناشروا لندن أن يقوموا بذلك .

ولاقت قصة « السبحة » عند ظهورها نجاحا جنونيا ، فأعيد طبعها مرات عديدة حتى تجاوز عدد ماطبع منها مليون نسخة .

والواقع ان أهم ماتمتاز به قصة « السبحة » هو وضوح شخصية المؤلفة وضوحا كافيا ، فهى تدور حول حادثة مفجعة لها اتصال مباشر بحياة فلورنس باركلاى . ولقد أحس الكاتب الفرنسى المسرحى أندريه بيسون André Bisson بقيمة القصة من الوجهة الفنية ، وبما يمكن أن تلاقيه من نجاح إذا اقتبست للمسرح ، فقام فعلا بتلك المهمة ونقلها الى الفرنسية ، بعد أن صاغها قصة مسرحية فى ثلاثة فصول وعهد بها الى المخرج الفرنسى المعروف جيميه فظهرت على مسرح الأوديون ولاقت من الجمهور الفرنسى نفس النجاح الذى أصابته عند نشرها . ولقدعرضت قصة « السبحة » فى القاهرة بواسطة إحدى الفرق الفرنسية قبيل الحرب العالمية الأولى .

. . . .

نحن الآن فى قصر الدوق ده ملدروم Le Duc De Meldrum بأحدى مدن انجلترا وقد أقامت زوجته الدوقة حفلة دعت اليها رهطا من أصدقاء الأسرة

وصديقاتها ، وأخذ أولئك المدعوون يتحدثون عن مواضيع مختلفة أظهرها حديث بعضهم عن البعض الآخر !

ولا نلبث أن نتبين من بين المدعوين شخصا يدعى الطبيب براند Brand يذكر للدوق رب القصر أنه لعب الكرة مع الآنسة جان كامبل Gane Campell ابنة أخي الدوقة

ونفهم من حديث الدوق أن جان تلك تبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عاما ، ومع ذلك فهي لاتزال آنسة لم تتزوج بعد . كما نفهم من حديث الدوقة أن الرسام النابغة جيرالد دلمان يقوم بعمل صورة للدوقة ستكون تحفة تزين معرض الصور الذى تعتزم إقامته وأن هذا الرسام يبلغ الثلاثين من عمره ومع ذلك فهو يبدو كأنه لم يتجاوز العشرين ، يحيا حياة مرحة بين ذلك العدد الكبير من النساء الجميلات اللاتى يعرضن أنفسهن عليه كنماذج هو مشتغل الآن باخراج صورة لآنسة اميركية تدعى بولين ليستر Poline Lister يتهامس الناس بأنها خطيبته وأنه معتزم الزواج منها .

ويقبل ذلك الرسام جيرالد دلمان ويشترك فى الحديث مع المدعوات ، ومن بينهن خطيبته بولين ، فاذا هو شاب فاتن رقيق ، سريع الخاطر ، تتودد اليه النساء ويملن الى حديثه . وفيما نحن نتنقل بين أبهاء القصر تقبل رسالة برقية الى الدوقة تفضها فاذا بها من المغنية الكبيرة « ميليا » التى كانت قد وعدت بالحضور الى الحفلة لتنشد القطعة المعروفة باسم « السبحة » وهاهى ذى تعتذر بهذه البرقية عن الحضور لمرضها . مع أن الدوقة قد أعدت كل شىء لكى تفاجىء مدعويها بحضور المغنية فزينت القاعة على شكل محراب ، ونثرت الورود البيضاء ووضعت صليبا أحمر كبيرا ، لكى يتسق جو القصر مع تلك الأنشودة .

وتضطرب الدوقة لورود تلك البرقية واشفاقها من تغيير نظام الحفلة بأجمعه . ولكن إبنة أخيها جان تنقذ الموقف فتظهر إستعدادها لأن تنشد للمدعوين نفس أنشودة « السبحة » التي كانت « ميليا » تعتزم انشادها فاذا خلا الرسام جيرالد الى جان فهو لايخفي دهشته من اجادتهـا الموسيقى الى حد أنها تستطيع أن تنشد تلك القطعة الفنية الدقيقة وهو يذكر لها أنه جد مغرم بالموسيقى وهو يعبر عن هذا بقوله .

ـ ان الموسيقى مفتاح الأرواح والأغاني لغتها ، إن الكلمات العادية قد تكذب فهي لم توضع إلا للكذب أما الصوت أو الموسيقى فلا يكذبان أبدا !

ويتدرج الحديث بين الاثنين فتشعر بأن شيئا خفيا يصل بين روحيهما ، فهي تغار من النساء اللاتي يرسم صورهن . وهو ينكر أن له علاقة بواحدة منهن وان الامر لايعدو انه يتخذهن نماذج . وهو يقول في ذلك

ـ نماذج يا جان . نماذج لا أكثر . أفهمت إذن ماذا يساوى الفنان الذى لايحب الجمال ؟ راهب بلا إله ! ـ وإذا أشارت الى خطبته للآنسة بولين ليستر أكد لها انه لايعتزم التزوج منها ، فالجمال وحده لايكفيه بل انه يحب ان يعتز بالزوجة التي تفهمه ، والتي تملأ روحه ، وتسيطر عـلى نفسه . ثم يدعوها للحضور الى بلدته فى اسكوتلنده لكي تتمتع بجمال الطبيعة هناك فتقبل الدعوة وتعد بالحضور ويفترقان على ذلك

ولكننا لانكاد نعود الى المدعوين حتى نعرف من أحاديثهم أن الدوقة تعتزم تزويج إبنة أخيها جان من الطبيب براند

فاذا بدأت جان فى الغناء فهي تجيده كل الإجادة. ويتأثر الرسام جيرالد من غنائها تأثراً يرسله الى شبه حلم جميل. فيحني رأسه ويغمض عينيه ليعيش معها وحدها دون باقي المدعوين في تلك الأغنية ، فاذا خلت اليه بعد أن

تتلقى إعجاب الآخرين فهو يعترف لها بأنها أسرته بصوتها وموسيقاها أسرا وانه أشد مايكون فرحا وهناء . ويأبى أن يسمع منها شيئا عن بولين ليستر أو عن أية امرأة أخرى . ويؤكد لها انها الفتاة المرهفـــة الحس التى كان يبحث عنها . فمن المستحيل أن تغنى تلك الأنشـودة بتلك القوة دون أن تكون قد تألمت وصقل الألم روحها . ثم يصارحها بأنه يحبها وبأنه يريد أن تكون زوجته ، فهو فى أشد حاجة اليها .

وتضطرب جان لذلك وترجوه أن يمهلها قليلا ، ثم تذهب وتعود اليـه فتتناول المرآة التى على المائدة وتشخص اليها مطيلة النظر الى جسمها وقوامها وفجأة تطلب اليه أن ينسى كل ما كان بينهما ، فاذا أكد لها حبه أجابته بعد قليل وهى تقاوم بكل جهدها وتحول بصرها الى جهـة أخرى حتى لايلتقى بصرها ببصره

ـ وإذا كنت أنا .. لاأحبك !

ويذهل جيرالد لذلك الجواب المفاجىء . وتسرع هى فترجوه أن يؤمن بأمر واحد . ذلك انها ستبقى صديقته ، فاذا مدت اليه يدها تناولها برهة ثم تركها ولا تلبث أن تراها متجهة الى باقى المدعوين . فيصيح بها جيرالد

ـ جان !

وعندئذ تقول وقد اغتصبت ابتسامة فاترة

ـ سنظل صديقين !

ثم تختفى فى البهو فيبدو التأثر الشديد على وجه جيرالد ويغمض عينيه

. . . .

فاذا كان الفصـل الثانى فنحن فى مكتب الطبيب براند وقد انقضى عام

على حوادث الفصل السابق . وأقبلت الدوقة ده ملدروم De Meldrum تزور طبيب الأسرة ،فنفهم من حديثها أن جان قد غادرت انجلترة فى سياحة طويلة الى الشرق الأقصى،وان آخر رسالة وردت منها وهى فى الصين منذ شهر تنبىء أنها عائدة . ونعلم أن الطبيب براند كان قد كلف الدوقة بأن تبحث له عن ممرضة تعنى بمريض عزيز لديه ، وانها قدمت لتخبره أنها عثرت على ممرضة تقبل هذه المهمة .

ولا تكاد الدوقة تخرج حتى تدخل جان ، وقد شحب لونها وبان عليها الهزال ، ويدهش الطبيب لرؤيتها فقد كان يظن انها لم تصل بعد الى لندن ، ولكنها تخبره بأنها فضلت الحضور اليه قبل أن تذهب الى عمتها الدوقة .

وهنا نعرف إسم ذلك المريض الذى عثرت الدوقة على ممرضة تعنى به ، فهو ذلك الرسام الشاب جيرالد دلمان ، أصيب بالعمى وهو فى إحدى رحلات الصيد إذ انطلقت رصاصة فى وجهه فأفقدته البصر .

وتذهل جان لدى سماعها هذا النبأ المفزع ويبدو عليها الجزع الشديد ، ثم لاتلبث أن تعترف للطبيب براند بكل شىء . تعترف له بأنها ماقامت بتلك الرحلة الطويلة التى استمرت عاما كاملا إلا من أجل جيرالد ، وانها فعلت ذلك لانه طلب التزوج بها فأبت ، إذ ما كان لفتاة مثلها فى الثامنة والثلاثين أن تتزوج بشاب فى الثلاثين له شهرة وصيت عريضان ، تتهافت النساء الجميلات على إلتماس مرضاته والتودد اليه ، ما كان لها أن تجيبه الى طلبه وهى تعلم أنها بذلك تقف عثرة فى سبيل مستقبله وهنائه ، ففضلت أن تضحى بنفسها ، وأن تدوس قلبها ، وأن تهجر وطنها من أجله هو ، وهى تسائل الطبيب عما إذا كانت قد أحسنت صنعا أم لا ، فيجيبها انها أخطأت إذ انها لم تقابل حب ذلك الرجل لها بما هو جدير به من وفاء

وتعود الدوقة ومعها الممرضة التى اختارتها للعناية بجيرالد

وتطلب جان من الطبيب براند أن يمكنها من رؤية جيرالد فيخبرها بأن الرسام المريض يمتنع عن مقابلة الناس ، ولكنها تلح وتتوسل . وأخيرا يتفقان على أن تتنكر جان فى زى الممرضة ثم تأخــذ من الطبيب براند خطابا الى الطبيب الذى يعالج جيرالد على إعتبار انها الممرضة « روزميرى » التى اختارتها الدوقة .

وتذهب جان وهى فى زى الممرضات الى بيت جيرالد باسكوتلنده ، وتقدم الخطاب الذى معها الى الطبيب المعالج فيعطيها التعليمات اللازمة للعناية بالمريض الأعمى ، وينبهها الى أن حالته النفسية تستدعى أن يحاط دائما بجو يفيض حنانا ورقة ودعة وعطفا .

ويقبل جيرالد معتمداً على ذراع خادمه ومتوكئا على عصا يدق بها الأرض ، وقد ارتدى ثوبا أسود وظهر الشحوب على وجهه .

ولا يكاد يسمع صوت جان حتى يرتعد ويسأل عمن فى الغرفة ، فتجيبه جان بأنها الممرضة روزميرى التى حضرت للعناية به ، ولكنه يظل واقفا فترة طويلة تحت تأثير الصدمة التى انتابته من سماع صوت جان ويبدى رغبته فى أن يختلى بالطبيب المعالج فيطلب الطبيب من جان أن تخرج ولكنه يعود فيشير اليها بيده إشارة تفهم منها أن تبقى لتسمع مايدور بينه وبين المريض الأعمى .

ويعود جيرالد الى التحدث عن صوت الممرضة الجديدة فيذكر انه مشابه تماما لصوت فتاة كان يعرفها وكان لها أثر عميق فى حياته ، ويعرض عليه الطبيب أن يستدعى تلك الفتاة التى كان يحبها لكى تجلس بجانبه وهى

الكفيلة إذ ذاك بتبديد أحزانه ولكن جيرالد يجيبه .

ـ كلا ياسيدى الطبيب ... آه ... بربى ... انها آخر شخص يطأ عتبة هذا البيت !

وهو يعلل ذلك انه أعمى وهو يأبى أن يستدر عطف الناس عليه ، فمن المؤلم أن يصبح محل هذا العطف .

ثم يعود مرة أخرى الى ذكر صوت الممرضة فهو يتمنى لو انه استطاع أن يفصل بين هذا الصوت ، وتلك الذكرى الهائلة فاذا غادر جيرالد الغرفة وهو يتكىء على كتف الخادم ، وخلا الطبيب الى جان اتضح لنا انه قد عرف حقيقة شخصيتها إذ رآها مرة أثناء الحرب وهى تقوم بالتمريض فى أحد المستشفيات وهو يذكر اسمها جيداً إذ قد أعجب بها عند رؤيته لها إذ ذاك فهى جان كامبل وليست روزميرى كما تدعى

. . . .

فاذا كان الفصل الأخير فنحن لانزال فى بيت جيرالد الرسام الضرير ، وقد أخذ يتحدث الى الطبيب براند فيذكر له الأخير انه مندهش لموقفه من تلك الفتاة التى أحبها ، فقد صدقها عند مارفضت طلبه التزوج بها مع أن ذلك الرفض انما تعمد اليه النساء عادة لكى يسترن به ضعفهن . ويؤكد له براند أن ماحدث بينهما لايعدو أن يكون سوء تفاهم تمكن إزالته ولكن جيرالد يجيبه بأنه لايزال محتفظا بأبائه وكبريائه ، وهو لايقبل أن تنظر اليه جان نظرة رثاء وشفقة ، فما هو الآن إلا ضرير مسكين !

ثم تدخل « الممرضة » جان فتفهم أن جيرالد كان يظنها غائبة فى أجازة إذ لم يسمع صوتها منذ يومين ، ولكن الطبيب براند يخبره بالحقيقة التى لا

نلبث أن نعرفها جميعا ، فقد عصبت عينيها بعصابة حجبت عنهما الضوء ، وحبست نفسها فى إحدى غرف البيت لترى مبلغ تأثير العمى على من يصاب به . ولا يكاد جيرالد يسمع ذلك حتى يتأثر ويشكر لها تلك العاطفة النبيلة التى دفعتها الى التفكير فى ذلك فاذا حدثها عن الوحدة التى يشعر بها الأعمى ، وعن قسوة الظروف التى ترغمه على أن يكون محل عطف الناس وشفقتهم قالت له .

– يبدو لى أننى إذا أحببت رجلا فقد بصره فاننى لا أتردد فى أن أهجر الضوء واطمئن إلى حياة الظلام لكى أحبه حباً أقوى وأفضل فى هدوء تلك الوحدة الشاملة .

ويتطرق الحديث بينهما فتذكر له أنها أحبت شخصا ثم افترقا لخلاف تافه بينهما . وعندئذ ينصحها أن تكتب اليه وتشرح له كل شىء فهو لابد مغتفر لها وعائد اليها . فاذا قالت له .

– أخشى أن أكون خسرت حبه

أجابها .

– ان الحب لايموت هكذا ياسيدتى . اكتبى الى صديقك واشرحى له ماحدث فسوف يشعر بصدق قولك من خلال لهجتك

ثم تعرض عليه أن يتزوج فيقول لها

– إننى لا أحب إلا امرأة واحدة فى هذا العالم . ولقد انطفأ نور عينى ولكن بقيت صورتها الحبيبة فى أعماق روحى وستصحبنى هذه الصورة حتى الموت .

ثم يصاب جيرالد بشىء من الذهول إذ يتكرر صوت جان على مسمعه

فيسألها .

— هل أنا فى حلم ؟ أهنا أحد أعرفه ؟

فاذا أجابته بأنه لايوجد غيرها ، طلب اليها أن تحضر من غرفة المكتب صورة مغطاة بستار احمر ، فتذهب وتحضر تلك الصورة التى لاتكاد تزيح الستار عنها حتى يتضح أنها صورتها هى ، صورة جان ، تحفة فنية رائعة ، ويذكر لها أنها هى أول من يقع بصره على تلك الصورة وان صاحبتها نفسها لاتعلم بوجودها فقد رسمها من حطام ذكراها ، وهو يطلب اليها أن تتناول سكيناً وتمزق الصورة فلم يعد هناك معنى لبقائها

ويدخل الخادم يحمل البريد لذى وصل فتتناوله جان وتدس فيه رسالة تخرجها من صدرها بدون أن يشعر بذلك أحد ، وتعطى مجموعة الرسائل الى جيرالد فيقلبها الى أن يصل الى تلك الرسالة فيطلب اليها أن تفضها وتقرأها فهو يحس أنها منها ، ، هى ، من حبيبته التى كان يحدثها عنها .

وتفض جان الرسالة ... رسالتها التى دستها منذ برهة فى مجموعة الرسائل ثم تقرأها لجيرالد فاذا بها تفيض بأنبل المعانى وأطهرها وإذا بها تتوسل اليه فيها أن يأذن لها بالحضور لرؤيته . ولا تكاد جان تقرأ بضعة سطور حتى نراها تترك الرسالة جانبا وتتجه الى جيرالد ثم تتكلم وكأنها تقرأ فتقول له :

— طلبت منى يومئذ أن أعطيك جوابا سريعا عن زواجى منك ولقد كنت أكبر منك سناً فلما تخيلت مستقبلى وقد انقضت بضعة أعوام على زواجنا رأيتنى هرمة قبيحة ثم إننى أعترف لك الآن وأنا خجلى ياجيرالد بأننى لم أكن كبيرة الثقة فى حبك ، ـ وتحس بصوت جان يتهدج وهى تلقى هذا الكلمات .

فيسألها جيرالد عما بها . وعندئذ تملك نفسها وتعود الى القراءة فتذكر على لسان « الرسالة » انها أصبحت الآن تثق فى حبه لها . ولا تكاد تنتهى حتى يأمرها جيرالد بأن تجلس الى المكتب وأن ترسل الى صاحبة الرسالة هذه الكلمة « إحضرى » ويبدى رغبته فى أن يوقع تلك الكلمة بيده

وتنتاب جان إذ ذاك نوبة عجيبة تدفعها الى الجلوس أمام البيانو ثم تبدأ فى عزف المقطوعة الأولى من أنشودة « السبحة » ، وهى تغنيها بصوت يتناهى رقة وحنانا .

ولا يكاد جيرالد يسمعها حتى يتقدم اليها ماداً ذراعيه وتعبث أصابعه بشعرها وهو يصرخ فى صوت عال فقد عرفها

— جان ... ! معبودتى .. كيف ؟ أنت إذن ؟ ... ياحبيبتى جان ... إننى أحبك !

ثم تهبط الستار وقد تعانق الأثنان عناقا صهر شقاء الأعوام الطويلة التى عاشاها مفترقين ...



مسألة ليبيا

LE QUESTION DE LYBIE

أثار صراع الدول العربية أمام هيئة الأمم المتحدة فى سبيل وحدة ليبيا واستقلالها اهتمام العالم

ولقد طالبت مصر فى الخطاب الذى ألقاه رئيس وفدها لدى الجزء الثانى من الدورة الثالثة للجمعية العامة للأمم المتحدة ولدى الدورة الرابعة اثناء انعقادهما فى « ليك ساكسس » باعادة واحة جغبوب إلى مصر وبتعديل الحدود الغربية حول منطقة السلوم .

والحديث عن حدود مصر الغربية يسوق كل منصف إلى ذكر فضل المصريين فى اكتشاف المناطق التى ظلت مجهولة فى صحراء ليبيا إلى أوائل القرن العشرين .

فقد نص الاتفاق الذى عقد بين ايطاليا ومصر فى ٦ ديسمبر عام ١٩٢٥ على أن حدود مصر الغربية تتبع خط طول ٢٥ شرق جرينتش حتى خط عرض ٢٥ شمالا . ومن هذه النقطة ـ وهى أقصى الحدود جنوبا ـ ظلت الحدود غامضة مبهمة .

وطبقا لتلك الحدود ظلت واحة « الكفره » داخل الأراضى الليبية بينما الحقت بئر « ساره » ومنطقة « العوينات » الجبلية بالسودان .

وإذا كان الجغرافيون قد عرفوا بئر « ساره » منذ عام ١٩٠٠ بسبب

وجودها فى طريق القوافل الذى يصل « بنغازى » و « واداى » فان منطقة « العوينات » و « اركنو » الجبلة ظلت مجهولة حتى اكتشفها الرحالة المصرى المغفور له احمد حسنين « بك » عام ۱۹۲۳ ثم أتم اكتشافها المغفور له الأمير كمال الدين حسين بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٦ .

وكانت أول رحلة قام بها حسنين باشا مع الرحالة الانجليزية « روزيتا فوربس » فى عام ۱۹۲۱ وكان هدفه واحة « الكفره » . ثم عاد إليها وحده بعد عامين واستمر فى السير نحو الجنوب الشرقى متجهاً الى « دارفور » بحثا وراء الواحات المفقودة التى حدثه أهل « الكفره » عن وجودها . فبعد أن غادر « الكفره » فى ١٨ ابريل عام ١٩٢٣ اكتشف « العوينات » فى ٢٨ من نفس الشهر وعاد الى مصر عن طريق « أردى » و « دارفور » .

أما الأمير كمال الدين حسين - ابن ساكن الجنان السلطان حسين كامل - فكانت دوائر الجغرافيين قد عرفته بسبب اكتشافاته فى شمال صحراء ليبيا . وقد غادر الواحات الخارجة فى ديسمبر عام ١٩٢٤ نحو الجنوب الغربى سالكا الطريق المعروف باسم « درب الاربعين يوما » وهو الطريق الذى اعتادت القوافل أن تسلكه غالباً فى سيرها بين اسيوط ودارفور . وقد وصل الى بئر « شيب » فى ٣ يناير عام ١٩٢٥ والى بئر « تارافوى » فى ٥ يناير وهناك ترك طريق القوافل وتوغل نحو الغرب فوصل « العوينات » فى ١٩ يناير . وعاد الى مصر عن طريق «أردى» وواحة « ميرجا » التى اكتشفها فى ٤ فبراير من ذلك العام

وفى شتاء عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ عاد الأمير كمال الدين إلى «العوينات» من طريق آخر وذلك بأن مر بالواحات الخارجة والداخلة وجبل «ابو بلاص» وبئر « ساره » .

وهنا يصف المؤرخ الفرنسي «جان بيشون» Jean Pichon فى كتابه «مسألة ليبيا» الذى أصدره عام ١٩٤٥ - والذى كان بين الأسانيد التاريخية التى استند اليها وفد «هيئة تحرير ليبيا» إلى الأمم المتحدة وأشار اليه صراحة فى الخطاب الذى ألقاه هذ الوفـــد أمام لجنة السياسة والأمن للتدليل على مساوى الاستعمار الايطالى - يصف هذا المؤرخ المحايد أعمـــال ذينك العالمين المصريين بقوله .

(ان اكتشافات حسنين بك والأمير كمال الدين أضاءت غياهب الصحراء الليبية . وتمتازا كتشافات الأمير المصرى بأنه استعان على تحقيقها بالسيارات فقد استعان فى رحلته الأولى بعشر سيارات من النوع المعروف باسم « اوتو شينيل » أى السيارات التى تسير عجلاتها على سلاسل حديدية تمكنها من قطع المسافات الصحراوية وبعشر جياد وبسيارة من نوع « التوربيدو » وكانت سرعة سير القافلة بمعدل أحد عشر كيلو مترا فى الساعة . وقد نبه اكتشاف تلك الواحات الجديدة المتاخمة للسودان وامكان الوصول اليها بالسيارات بواسطة الدروب الصحراوية الليبية أذهان الانجليز الذين كانو قد احتلوا اثناء الحرب العالمية الاولى واحة سيوه عام ١٩١٧ بنفس الطريقة مبتدئين سيرهم إلى تلك الواحة من السلوم كما أن بعض الطلائع الاسترالية قد احتلت الواحات الخارجة والداخلة وتقدمت إلى منتصف الطريق نحو جبل « ابوبلاص » . وكان تنبه الانجليز إلى الاكتشافات المصرية فى صحراء ليبيا يعود إلى شعورهم بأن الواحات المكتشفة - وخصوصا «العوينات» - يمكن أن تتخذها ايطاليا قواعد حربية إذا احتلت القوات الايطالية واحة « الكفره » ، ولذلك أرسلت الحكومة الانجليزية فى شتاء عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ أربع سيارات مصفحة من « دنقله » إلى بئر « نطرون » ، جابت نحو مائتين وستين كيلو مترا من قلب الصحراء الليبية فى نحو اثنى عشر ساعة

وفى عام ١٩٢٨ وصل « الميجر بيدنيل » ومعه بعض سيارات إلى « العوينات » قادما من الحدود السودانية .

وفى نهاية عام ١٩٣٠ . عقب احتلال الايطاليين لواحة « الكفره » زاد اهتمام الانجليز بالصحراء الليبية . إذ أثبتت بعض طائرات سلاح الطيران البريطانى فى يناير عام ١٩٣١ تجمع بعض القوات الايطالية فى « العوينات » وهى قوات الطلائع التى أرسلها الجنرال جرازيانى لتعقب المجاهدين الليبيين الذين كانوا قد فروا من « الكفره » والتى كان يقودها الضابط الايطالى « برادا » .

ومنذ ذلك الوقت أخذت القوات الانجليزية والايطالية تجوب جنوب الصحراء الليبية لدراسة حقيقة أهمية منطقة « العوينات » قبل أن تبـــدأ المفاوضات الدبلوماسية بين « لندن » و « روما » !

وتتابعت البعوث الايطالية والانجليزية إلى تلك المنطقـة ففى يوليو عام ١٩٣١ بدأت بعثة ايطالية كان يرأسها الأستاذ « ديزيو » رحلتها من « الكفرة » تبغى الوصول إلى « العوينات » ولكنها عجزت عن ذلك بسبب نفاذ الماء .

وفى شتاء عام ١٩٣١ — ١٩٣٢ وصل « الميجر باجنولد » الانجليزى على رأس قافلة من السيارات السودانية إلى « العوينات » .

وفى خريف عام ١٩٣٢ جاب الكونت « الماسى » والكولونيل « بنديريل » و « سير روبرت كلايتون » نفس المنطقة

وفى نفس العام . أى عام ١٩٣٢ اكتشف الضابط الايطالى « أورنست ماركيز » واحات أخرى بين « العوينات » و « بير نطرون » وكان اكتشافها بطريق الصدفة البحتة . إذ أن بعض السنوسيين قد هربوا من الايطاليين

بعد احتلالهم « الكفرة » فظن الايطاليين ان أولئك السنوسيين قد تاهوا فى الصحراء لكنهم علموا بعد ذلك بظهورهم فى « دنقلة » وأنهم — أى السنوسيين — قد سلكوا فى هربهم طريقا يمر ببضع واحات لايدرى الجغرافيون عنها شيئا وهذا الطريق يقع بين « العوينات » و « بير نطرون » فلم يكد الجنرال «جرازيانى» يتصل به ذلك النبأ حتى طلب إلى المجمع الجغرافى فى فلورنسه أن يوفد بعثة « طوبوغرافية » يرأسها الضابط « أوريست ماركيز » لاكتشاف تلك الواحات ولتحديد المسافة بين « جالو » و « الكفرة » و « العوينات » و « بير نطرون » تمهيداً لانشاء طريق سيارات وطريق جوى إلى السودان بعد اتخاذ « العوينات » قاعدة أمامية . وقد انتهت البعثة إلى أنه من الممكن قطع المسافة بين « بنغازى » و « العوينات » فى ثلاثة أيام عن طريق « الكفرة » وتحققت أهمية «العوينات» كنقطة اتصال دائرة بين مصر والسودان وافريقيا الفرنسية

وقد حدث فى أوائل عام ١٩٣٤ أن احتلت بعض القوات الايطالية التى كانت مرابطة فى « الكفرة » الجزء الشرقى من « العوينات » المعروف باسم « نور » فلم تكد الحكومة البريطانية تعلم بذلك حتى بادر السفير البريطانى فى روما بمطالبة الحكومة الايطالية بسحب قواتها من «العوينات» باعتبار أنها تقع جنوب خط عرض ٢٢ أى فى السودان . وأجابت الحكومة الايطالية بأن تلك المنطقة لاغنى عنها لأهل واحة «الكفرة» بسبب مراعيها وآبار المياه فيها وان القوات الايطالية من حقها البقاء فيها باعتبار أنها سبقت غيرها الى احتلالها !؟

ثم سوى الخلاف فيما بعد بتوقيع الاتفاق الايطالى الانجليزى المصرى فى روما يوم ٢٠ يوليو عام ١٩٣٤ بين موسولينى وسير أريك دراموند سفير

انجلترا وصادق وهبه باشا وزير مصر المفوض . وقد قضى ذلك الاتفاق بتعديل الحدود تعديلا من شأنه ادخال الجزء الغربى من العوينات وآبار «عين دوا» و «عين زويره» و «ساره» فى الحدود الايطالية)

وقد تساءل المؤرخ جان بيشون :

« من الجائز أن يدهشنا تنازل انجلترا التى عرفت بشدة الحرص على مصالحها، ولكن يجب أن نتذكر — مع ذلك — أن حكومة لندن كانت مقتنعة إذ ذاك بأن السياسة الايطالية ستحترم فى المستقبل مصالح بريطانيا العظمى الحيوية كما احترمتها فى الماضى، إلا أن تلك الأوهام لم تلبث أن تبددت بعد وقت قصير . إذ أن إيطاليا هاجمت الحبشة رغم إنذار بريطانيا قبل أن تنقضى بضعة أشهر على توقيع ذلك الاتفاق ! »

ولكن . .

ولكن ما أدهش المؤرخ الفرنسى عام ١٩٣٤ عاد فأدهش العالم أجمع فى عام ١٩٤٩ عندما وقف مندوبو انجلتره فى هيئة الأمم المتحدة يطالبون بعودة ايطاليا إلى طرابلس ! وإلى الصومال !

أن القدر يأبى إلا أن يسجل حق مصر وفضلها وغدر انجلتره ونكرانها للجميل

ففى المدة بين ١٨ و٢٨ أبريل عام ١٩٤٩ كان مندوبو انجلتره فى الأمم المتحدة يأبون على ليبيا حقها فى الوحدة والاستقلال، وينكرون على مصر حتى حق الاشتراك فى وصاية خماسية على القطر العربى المسلم المجاور لأرضها.

وفى المدة نفسها بين ١٨ و٢٨ ابريل عام ١٩٢٣ اكتشف احمد حسنين المصرى تلك المنطقة من صحراء ليبيا . فاضاف إلى علم الجغرافية ثروة جديدة سجلها العلماء فى كافة أقطار العالم له ولمصر

منذ ربع قرن فقط .. أشاد العالم أجمع بفضل الاكتشافات المصرية التى تستغلها انجلتره الآن لتحقيق أغراضها الحربية الاستعمارية..

ولكن ذاكرة الساسة الانجليز تعرف — عند الحاجة — كيف تضعف حتى العدم!



ليلة فى الجبهة

UN SOIR AU FRONT

هنرى كيستيميكر H. Kistemaechers مؤلف هذه القصة كاتب فرنسى معروف غذى المسرح الفرنسى بعدد وافر من القصص نجحت كلها ، وترجمت له إلى العربية قصة « الشعلة » فلاقت نجاحا عند النظارة فى مصر ، واقتبست بعض تلك المسرحيات إلى السينما وقد رأى الجمهور منذمدة قصته «الغريزة» فى إحدى دور السينما عندنا ، فصادفت نجاحا أيضا من هذه الناحية .

وكيستيميكر كاتب شعبي عنيف ولكنه يمتاز عن غيره من الكتاب الذين يتملقون الجمهور بميزة جليلة . ذلك انه يبنى قصصه كلها تقريبا على أزمة من أزمات النفس البشرية ، وهو يتلمس تلك الأزمة غالباً ويبحثها ويحللها تحت ضوء بعض الاعتبارات العلمية أو الإجتماعية او الخلقية فهو يكاد يضع عن طريق قصصه المسرحية « قوانين » يريد أن تخضع لها النفس البشرية

وهذه القصة التى ألخصها فى هذه المجموعة تدور حوادثها فى شتاء عام من أعوام الحرب العالمية الاولى .

وقد مثلت هذه القصة للمرة الأولى على مسرح «بورت سان مارتان» . فقابلها الفرنسيون الذين كانوا لا يزالون يعانون أهوال تلك الحرب مقابلة عاصفة ارتفعت معها القصة إلى درجة لم تكن تصل اليها لولا تلك الظروف . ولكنها مع ذلك قصة قيمة تعرضت لبحث نقطة انسانية خطيرة . وفق فيها التوفيق كله .

° ° °

نحن فى بهو قصر قريب من خط النار فى ناحيـة «السوم» بفرنسا . وهو قصر آل «سوليكور» الذى احتـله الجيش الفرنسى واتخذه مقراً لضباطه ، وقد ظهرت فى ذلك البهو مكتبة أصحـاب القصر وأثاثه . ويبدأ الفصل بحديث طويل بين الضباط الموجودين لا حاجة بنا إلى تلخيصه كله فهو يدور على أمور عدة، على شعور أولئك الضباط نحو وطنهم ونحو عدوهم ونحو زوجاتهم ويهمنا أن نعرف من أولئك الضباط جميعهم اثنين منهم هما «تورى» Theurit و«رينيه» René وتقبل أثناء ذلك الحديث سيدة تدعى ماريان Marianne تحمل أوراقا رسمية تبيح لها اجتياز تلك المنطقة الحربية فنفهم من حديثهامع تورى أنها صاحبة القصر الذى يحتله الجيش وقد قدمت للبحث عن رينيـه فهى تود رؤيته ، كما نعرف انها أرملة استشهد زوجها فى الحرب ، ويقبـل رينيه بعد قليل فلا يكاد يقع بصره على مريان حتى يصيح :

ـــ ماريان هيلر هنـا !

ثم يقوم بتقديم ماريان إلى زميله «تورى» فيقول له عنها إنها تستحق أن تحمل وسام فرقة الشرف . فقد قدمت لفرنسا خدمات جليلة ، ويخبره انها أنقذت حياته . فقد كانت تعمل كممرضة فى الجيش وسقط هو مع بعض رفاقه وقد اخترق رصاص العدو جسمه ، وزادت آلامه حتى أصبح لا يطيقها واشتد به الظمأ حتى كاد يفقد شجاعته ، وأخيرا جاءت ماريان هيلر وانحنت عليه تواسيه ثم احضرت من يساعدها على حمله ، وقامت بأشياء أخرى أجل وأعظم ، فقد أحضروا إلى المستشفى الذى كان يعالج به جنديا فرنسيا يحتضر ، وأقبلت ماريان تغمض له عينيه قبل أن تفيض روحه ، ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى هجم اثنا عشر جنديا ألمانيا عليها ، وأمسكوا بها وأجروا معها تحقيقا فاعترفت بانها فرنسية وبانها كانت تقيم فى قصرها بناحية «السوم»

وانها تقوم الآن بتضميد جروح الجنود الذين يسقطون فى ميدان القتال . فلما صارحها الضابط الالمانى المحقق بأنه يأسف لاضطراره إلى اعدامها قالت له :

— حسنا ، اعتنوا على الأقل بهؤلاء المساكين . انهم أسراكم - فأجابها

— معذرة يا سيدتى ، انهم شركاؤك وسيعدمون مثلك ولكن سوف يكون لك شرف الموت قبلهم!

ويستمر رينيه فى حديثه فيخبر تورى أن ماريان رفضت أن تعصب عينيها عندما تقدمت إلى ساحة الإعدام وصاحت بهم « أيها الأنذال . . . أيها الأنذال . . . انكم لا تصلحون إلا لقتل النساء ! »

وقد تم انقاذ باقى الأسرى بأعجوبة ، إذ أسرعت لنجدتهم فرقة من الجيش الفرنسى اقتحمت القرية التى كانوا فيها وأمطرتها وابلا من الرصاص

ويتأثر تورى من تلك التفاصيل التى أدلى بها رينيه ، فيقدم إلى ماريان أسمى عبارات احترامه واجلاله . وإذا خلا رينيه إلى ماريان سألته عما حدث بعد ذلك فأخبرها بأن الإصابات التى اصيب بها جعلته عاجزا عن العمل فى فرقة الفرسان ولذا اضطر ان يعمل فى فرقة السيارات ، ونعلم جميعا انها منذ ان فجعت فى زوجها قد أثر فيها الحزن فتفرغت للعناية بولدها ، وهو طفل صغير فى حاجة قصوى للعناية . ويستمر الحديث بين الضابط الشاب والمرأة الشابة فنشعر بأن رينيه مغرم بماريان ونسمعه يقول لها إن كل جندى فى الجيش يتصور الوطن وفق خياله الخاص وهذا الوطن بالنسبة له هو ماريان . . فهو يحبها ويحب الوطن ، وهو يذكرها بتلك الليلة التى انقذته فيها . وكيف التقت نظراتهما فتفاهما منذ تلك اللحظة ، وتجاوب قلباهما ، ولكنها تجيبه بأنها كانت تفكر إذ ذاك فى أن ابنها سيكبر ويصبح شابا قويا مثله ، وفى انه سيموت . !

ويتحدثان بعد ذلك عن زوجها الذى نعلم أن اسمه جيرار دنشو ونشعر من حديث رينيه أنه يشك فى أن ذلك الزوج كان ألمانيا وتكاد هى تعترف ولكنها تقول إنه مات من أجل فرنسا ، ويدهش رينيه من ذلك ولكنها تكرر له أن جيرار Gerard مات فى صفوف الجيش الفرنسى . وهى تحكى له قصة زواجها فتخبره بان والدها كان يدير مصنعا كبيراً للكهرباء وقد طلب اليه أحد عملائه فى « ستراسبورج » أن يقبل ابنه للتمرن فى مصنعه وبذا عاش جيرار عامين ضيفا على أسرتها وعلمت هذه الأسرة أنه من أصل الزاسى ولكن اتضح لهم عند الزواج من الاطلاع على المستندات الرسمية أنه ألمانى . فاذا سألها .

— هل أحببته ؟ ـ إجابت .

— أجل ..

وعندئذ يثور فيقول لها إن كل ذلك الجيش الألمانى من أوله إلى آخره بدون استثناء رجل واحد لايستحق إلا الحقد ، ولكنه يعود فيعترف بأنه مدين لها بحياته . ويسألها ماالذى دعاها إلى الحضور الآن تحت وابل رصاص العدو فتجيبه أنها حضرت . . من أجل زوجها أيضا فقد أوصاها قبل موته بأن تحرص على بعض مخلفاته وتنقلها إلى أسرته. وقد حضرت إلى القصر لتقوم بنقل تلك الذكريات إلى الخطوط الخلفية . حيث لاخطر عليها إلى أن تنتهى الحرب! وتبدأ ماريان فى البحث عنها فى إحدى الحقائب ويلاحظ رينيه اثناء تنقيبها أن هناك ثوبا رسميا ألمانيا بين مخلفات زوجها . ويصفر وجه ماريان ويرتعد جسمها. وينتبه رينيه إلى ذلك فاذا سألها، أين كانت عندما أعلنت الحرب؟ اجابته أنها كانت وحدها فى القصر وأن زوجها كان فى رحلة فى

الجنوب فيستنتج من ذلك أنه عندما صدر الأمر بالتعبئة أخذ زوجها وهو في الطريق لينضم إلى صفوف الجيش الفرنسى، ثم يسألها عما إذا كانت واثقة من موته رسميا فتجيبه ان النشرات الرسمية أعلنت أنه اختفى . وأنهم أحضروا لها جثته . ويذكر لها أن الثوب الألمانى الذى وجد فى الحقيبة يدل على أنه قد صنع لدى حائك ألمانى فى كولونى Cologne ويحمل اسم جيرا هيلر Gerard Heller .

ويشرح لها رينيه سر زوجها فيقول إنه يعد من احتياطى الجيش الألمانى مادام ينتمى إلى أصل ألمانى وقد لعب ذلك الدور القذر فاندمج فى صفوف الجيش الفرنسى ثم انتهز أول فرصة فانتقل إلى صفوف العدو . أو بتعبير أدق . انتقل إلى صفوف جيش بلاده .. التى ولد على أرضها . وهى ألمانيا ثم يقول بعد فترة .

— آه . إنك مسكينة يا ماريان !

وتشمئز ماريان من ذلك التفسير الواضح الذى فسر به رينيه سر زوجها فتثور نفسها وتلعن تلك السنوات الأربع التى قضتها معه . سنوات كلها كذب وخسة وضعه وينتهى الفصل الأول بهذا الحوار فاذا قالت ماريان

— ولكن هذا لا يصدر إلا عن أحط النفوس، إنه شيطان ! - أجابها رينيه .

— انه عدو . هذا كل شىء - « ثم يدق جرس التليفون فيجيب « أجل ياسيدى هو أنا . كل شىء هادىء كل شىء هادىء . ليس هنا ما يستحق الذكر ! »

° ° °

فاذا كان الفصل الثانى فنحن لا نزال حيث كنا وقد أخذ تورى يتحدث إلى رينيه فيصارحه بأنه منذ قدمت ماريان تغيرت حالته .

فاذا خرج رينيه أقبل ضابط برتبة « كابتن » وتكلم إلى تورى بلهجة

الأمر فيخبره أنه الكابتن « بيرتول » وقد قدم للتفتيش على القوة المرابطة في القصر ، ثم يتبادل مع تورى بضعة أحاديث عن الحركات الحربية والاستحكامات التي يقوم بها الجيش الفرنسي . وفى هذه الاثناء تقبل ماريان وتنصت إلى حديث الضابطين دون أن يرياها ثم تدخل عندما تسمع صوت الكابتن ويخرج تورى فتفهم كل شيء ، تفهم ان الكابتن بيرتول الفرنسي إنما هو زوجها جيرار هيلر الألمانى الذى خيل إليها إنه توفى فاذا به لايزال على قيد الحياة وقد تنكر فى ثياب ضابط فرنسي . واذا بماريان زوجته تهدده بأنها سوف تبلغ عنه فهى تعتقد أن التستر عليه خيانة . وإذا بين الاثنين هذا الحوار الرائع

ماريان ـ أأنا ألمانية أم فرنسية ؟

هيلر ـ أنت زوجتى . .

ماريان ـ انني أرتعد أمام جندى ألمانى !

هيلر ـ مرة أخرى لم كل هـذا ؟ ولم ترين فى عدواً ؟ إننى زوجك .

ويستمر فى حديثه فيخبرها ان الحكومات هى التى تتحارب أما الشعوب أما الأزواج والزوجات فلا تفرق بينهم الحروب . ويطلب اليها ألا تصدق مايذاع فى الصحف الفرنسية عن وحشية الشعب الألمانى فاذا سألته .

ــ أهذا حق ؟ ألا تقتلون النساء ؟ ـ أجابها ــ أبداً .

فتكذبه وتطلب اليه أن يخلع ذلك الثوب الفرنسي الذى يرتديه لكيلا يلوثه فاذا عاد إلى تذكيرها بأنه زوجها قالت له :

ــ أقولها للمرة الأخيرة إن زوجى قد توفى . . ولقد كان قلبا حنونا ورجلا شريفاً . لقد مات وأنا لا أؤمن بوجود الأشباح !

ــ وولدنا ماذا تفعلين به ؟

فتجيبه أنه يتيم وأنه لايشبهه قط وانمايشبهها هى . انه ابنها وليس ابنه ! فيخبرها بأنها لوكانت فى ألمانيا الآن لماترددفى أن يحميهابكل قواه . ويطنب فى أن الألمانيين لا يكرهون الفرنسيين وانما يكرهون فرنسا . وزوجته شىء وفرنسا شىء آخر . فلا بد أن تسود ألمانيا التى اختارها الله لحكم العالم. ويسألها عندما يتم الصلح وتتصافح الأيدى ماذا تفعل إذا جوبهت بالجرم الذى تريد اقترافه ! ماذا تقول إذا جوبهت بانهــا خانت زوجها وسلمته لجلاده ؟

ولـكن ماريان لاتقنع بكل ذلك فهى تصف الشعب الألمانى بأنه نذل والجنود الألمان بأنهم قتله. غير أنه يعود فيذكر لها أنه والدابنها ، فتقول .

ــ وأنا أشعر بأنى أم كل أولئك الذين سقطوا صرعى هذه الحرب من الفرنسيين . هناك ملايين من الفرنسيات أعطين أبناءهن لفرنسا ،وفى وسعى أن أعطى أنا الأخرى بضع عبرات من عينى ... ـ فاذا سألها ماذا تريد أن تفعل به أجابته انها ستقتصر على أن تدعهم يقيدون حريته فيأسرونه لـكى لايسىء إلى فرنسا ، وتطمئنه بان الأسرى فى فرنسا لايقتلون ،ولـكنه يذكرها بأن حالته تختلف عن حالة غيره . وأنه لابد من قتله ، ويصيح فى وجهها بأنها ستقف يوما ما أمام ابنها لتقول له « ريشار . يابنى . ذات ليلة أمسكت بيد أبيك وأسلمته إلى جلاده ! ».

ويدخل رينيه إذ ذاك ويرى هيلر فى ثياب «كابتن» فيحييه تحية عسكرية ، ويسأله هيلر بضعة أسئلة حربية فيجيبه عليها وقد بدا على ماريان الاضطراب الشديد. ويأخذ رينيه فى سرد حكاية جاسوس ألمانى كان قد قبض عليه فى اليوم السابق وهو فى زى ملازم فرنسى وان ذلك الجاسوس أراد استكشاف مواقع المؤخرة فى الجيش الفرنسى . ويتحدثون بعد ذلك عن المعاملة التى

سوف يلقاها ذلك الجاسوس فيقول رينيه إنه سوف يعدم رمياً بالرصاص وتتطور المناقشة بينهم فتثور ماريان وتوجه الحديث الى هيلر على اعتبار انه ألمانى وتتهمه وباقى أفراد جنسه بأنهم وحوش . ويشعر هيلر بانه انفضح فيرفع يده ويحاول أن يضربها ، ولكن رينيه يقف حائلا بينهما ، وتعترف ماريان لهيلر بأنها تحب رينيه وبأنها لم تحبه هو قط وانها كانت تؤدى فقط واجبا كريها وبأنها بجانبه لم تر إلا شر الشقاء القلبي. ويصرخ هيلر ساخراً فى وجهها « إنك فرنسية ! »

ويكرر ذلك كلما رآها تغلو فى إتهـامه ويطلب اليها رينيه أن تخرج فتجيبه انها ستطيعه ، ولكنها ترجوه أن يضمن لها حياة زوجها . انها تريد أن يعيش فقط ! وتجثو على ركبتيها لتتوسل الى رينيه ألا يقتل زوجها!

فاذا خرجت ماريان ذهب رينيه الى الباب ونادى الحارس جراندان Grandin ثم سار الى باب الغرفة الأخرى وقال لهذا الحارس

— إذا حاول أحد أياكان أن يخرج من هـذه الغرفة فاطلق عليه النار بلا تردد . أفهمت ؟

فيطيع جراندان ويخرج ، ويتحدث هيلر فيصارح رينيه أن هناك فرقة من الجيش الألمانى ستهجم فى الفجر ولن تتحرج عن قتل كل الفرنسيين الذين يقعون فى يدها ، ولكنه لو أطلق سراحه فهو يضمن له أن هذا لن يحدث ، ولكن رينيه لايعبأ بذلك ويطلب اليه أن يسلم له سلاحه ، وينتهى الفصل بهذا الحديث :

هيلر : انك بذلك تزيل من مخيلتى آخر أثر عن الشهامة الفرنسية

رينيه : ان الشهامة الفرنسية ياسيدى فى هـذا الوقت تنحصر فى انقاذ العالم من وحشية ألمانيا وفظاعتها .. تفضل اتبعنى ...

فاذا كان الفصل الأخير أقبلت ماريان تبحث عن رينيه وتسال عنه الحارس جراندان . وتفهم من حديث جراندان مع أحد زملائه ان المعركة ستبدأ فى الساعة الخامسة إلا خمس دقائق وأن القصر خال فكلهم ذهبوا الى الخنادق ، وانهم علموا بأن الجيش الألمانى سيهجم فى الساعة السادسة ، فاذا أقبل رينيه وعلم أن ماريان تبحث عنه بعث فى طلبها ، ثم صارحها بأنه تلق تعليمات خاصة بتسهيل سفرها ، وتسأله عما فعل بزوجها فيخبرها بأنه لم يفعل أكثر من أنه قبض عليه وأما الباقى فلا مناص منه،ويذكرها بالأهوال التى منيت بها فرنسا وتسببت فيها ألمانيا

ويدخل قائد السيارة ينبىء رينيه بأن السيارة قد أعدت لسفر ماريان ، فيأمره بأن يطيع ماتشير به ، ولكن ماريان لاتلبث أن تعود وتطلب الى رينيه ألا يسلم زوجها الى رؤسائه وأن يبقى على حياته ، فاذا رفض ، لان ماتطلبه منه إشتراك فى الخيانة ذكرته بكلمات الحب التى قالها لها منذ برهة ، وأخيرا يطلب اليها أن ترحل مطمئنة فسوف يفعل كل مافى طاقته نحو زوجها . ويعود قائد السيارة ليذكر رئيسه بأن الساعة قد أزفت ولا بد من الرحيل .

فتودعه ماريان بعد أن ترجو أن يراها قريبا وتخرج ، ويستدعى رينيه زميله تورى بالتليفون بعد أن يلقى بالحقيبة المحتوية على ثياب هيلر الى ركن مظلم لايرى . فاذا أقبل زميله أخبره بأنه ارتكب فى ذلك اليوم إثما يريد ان يكفر عنه . ارتكب إثما يمس بواجبه ولذا فهو يريد أن يؤدى هذا الواجب أضعافا . ذلك أن هناك جنوداً سيسقطون ولا شك عند الهجوم الأول ولذا فقد عزم هو أن يحل محل واحد من أولئك الذين سوف يسقطون . ويدهش تورى لذلك .ولكن رينيه يجيبه بأنه كرئيسه يأمره بأن يحل محله هنا ولا يذهب معه ويسأله تورى .

— أتطلب منى أن أراك شارعا فى الانتحار وأن أنظر اليك بدون أن أتحرك ؟

ويجيب رينيه بأنه لايريد أن ينتحر وانما هو يريد أن يرضى ضميره فاذا عاد حياً فقد أرضى ذلك الضمير وإذا مات فهذه إرادة الله ! ويصارحه بأن هناك أسيرا فى الغرفة وأن عليه ان يأخذه الى القائد فى الساعة الخامسة عند إبتداء المعركة ويترك له حرية التصرف معه ، ولكنه لايخبر تورى بشىء عن ظروف هيلر ، ثم يرجوه إذا علم أنه قضى نحبه أن يذهب ويخبر ماريان بأنه مات مستشهداً دون أن يتألم ، فاذا خرج الضابطان وخلا جراندان الحارس بنفسه بدأ فى كتابة خطاب الى زوجته ، وتعود ماريان فيحذرها من خطر وجودها فى ذلك الوقت والمعركة تكاد تنشب . ويطلب اليها الانصراف . ولكنها تصر على البقاء ، فهى ممرضة وتتوسل اليه أن يستدعى رينيه ولكنه يصارحها بان الضابط بعيد فى الخنادق .

ويخرج هيلر فى تلك اللحظة من الغرفة وينزل الدرج ببطء فيطلب اليه جراندان أن يقف ولا يكاد يمتنع عن إطاعة الأمر حتى يطلق عليه النار ، ويترنح الأسير الألمانى ثم يسقط .. وعندئذ تخفى ماريان عينها بيديها بعد أن ترى الرصاصة تسكن جسم زوجها

وفى هذا الوقت يدوى صوت الموسيقى عازفة نشيد «المارسييز» الوطنى فى ظلام الليل بقوة وعنف وحماس

فينصت الجنود اليه وقد أخذتهم النشوة وتقف ماريان منتصبة القامة وقد مدت يديها الى السماء

ثم تهبط الستار وهى تصيح بكل قوتها وبكل روحها

— ربى ! ربى ! احفظ لنا الأحياء !

هذه امبراطوريتكم

IT'S YOUR EMAIRE

هو كتاب حديث أصدره مفكر انجليزى حر عن القارة التى نعيش فيها « أفريقيا » وعن مساوىء الاستعمار البريطانى بها . ومؤلف هذا الكتاب اليكساندر كامبل Alexander Campbell قد توفر على بحث أحوال افريقيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأصدر من قبل هذا الكتاب كتابا أسماه « الامبراطوية فى افريقيا » . والذى يهم الشعوب العربية من فصول كتابه الاخير « هذه أمبراطوريتكم » فصل أفرده عن « أفريقيا السوداء » وجه مقدمته إلى الاوروبيين وقرر فى هذه المقدمة الممتعة أن الرجال البيض عندما دخلوا شمال أمريكا وجدوا مساحات شاسعة من الاراضى تقطنها قبائل من الهنود الحمر قليلة العدد ، مبعثرة فيها ، فلم يلبث البيض أن تكاثر عددهم حتى زاد بمراحل على عدد الحمر ، ولكن أفريقيا لاتزال تعيش فيها أغلبية سكانها السود ، فنسبة الاوروبيين إلى كل عشرة آلاف افريقى لاتزيد عن ستة فى أوغندة وفى نيجيريا وتسعة فى ساحل الذهب وستة عشر فى تانجانيقا ، وخمسة وستين فى كينيا ، وأربعة وثمانين فى روديسيا الشمالية ، وهذا عامل رئيسى لايجب أن يغيب عن البال إطلاقا ، والشعوب الافريقية التى يبلغ عددها مائة وخمسين مليونا لاتزال تعد متأخرة إذا قورنت بالشعوب الغربية اليوم . ولا سند لما يزعمه بعض السياسين الاوروبيين فى الارض البريطانية التى يستعمرها البيض وفى اتحاد جنوب افريقيا من أن رقى أفريقيا يجب أن يكون بطيئا بسبب كسل عقليات الافريقيين أنفسهم ، لان

العلماء قد امتحنوا الهبات العقلية للأطفال الافريقيين فتبينوا أنها فى المتوسط لاتقل عن عقلية الطفل الأوروبى المتوسط . فرقى افريقيا لاتشله الاعوامل مالية أى أن أولئك الذين فى يدهم السلطة يرغبون فى عدم اعتماد ميزانيات تنفق على التعليم والصحة والزراعة والصناعة

والافريقيون يختلفون أجناسا كما يختلف الاوربيون. ففى افريقيا شعوب وثنية ، وفيها مسلمون من شمال نيجيريا وكانو Kano وهى مدينة بنيت منازلها على طراز القرون الوسطى يحيط بها سور مرتفع يبلغ طوله اثنتى عشر ميلا ، وأغلبية الافريقيين يعيشون حياة أشبه بحياة انجلتره فى عهد السكسون ، ولكن هذه الحياة يمكن أن تتغير معالمها بسرعة إذا زادت موارد الافريقيين زيادة تحقق هذا التغيير ، وإذا نظرنا الى الحياة الافريقية على ضوء هذه الحقيقة التاريخية العلمية لتبينا أنها ليست حياة فذة فريدة فى نوعها ومما يغيب عن بال البريطانى أو الاميركى المتوسط ان أغلبية الشعوب التى تعيش فى العالم اليوم تعيش حياة لاتختلف كثيرا عن الحياة الافريقيـــة ، كالفلاحين الهنود والصينيين وشعوب جنوب ووسط أمريكا وكثيرين من فلاحى شرق أوروبا ، والاستثناء من هذه الحياة التعسة تنفرد به بريطانيا وغرب أوروبا وشمال أميريكا والممتلكات البريطانية الحرة ، فالافريقيون والشعوب الاخرى التى أشار اليها بسبب عدم تمكنها من الرقى الذى وصلت اليه الشعوب الغربية — قصار القامة فى الغالب . ضعاف الصحة . يعيشون حياة قصيرة ، شقية ، وهم يلقون حتفهم عادة من المرض كما أنهم فى معظم أنحاء القارة يؤمنون بالخرافات . ولكن هكذا كان حال الغالبية العظمى من الشعوب الاوروبية حتى عهد قريب !

والشعوب الافريقية تعيش سجينة فى قارة تبلغ مساحتها إحدى عشر

مليونا من الاميال المربعة تحيط بها الجبال والصحارى والمستنقعات والغابات التى ظلت الى العهد الحديث تحجب هذه الشعوب عن الاتصال اتصالا مثمراً بالعالم الخارجى ، والافريقيون منكوبون بجو حار يقتل النشاط وبقارة ملأى بالحيوانات المتوحشـــة . وبالقبائل الرحالة التى تعيش على القتل ، وبالحشرات الناقلة للأمراض وبالأعشاب السامة . والصحارى القاحلة ، وهـذه العوامل لهـــا بلا شك أثر فى تأخر الافريقيين ، ولكن هؤلاء الافريقيين يمتازون بهبات عظيمة . فلا يجرؤ شخص تعامل مع الافريقيين على أن ينكر ذكاءهم اللهم الا إذا كان من أولئك الذين تسممت عقولهم بفكرة التميز بين ألوان الجنس البشرى ولا سبيل الى إقناعه

وما من أحد يستطيع أن يشك اطلاقا فيما فطروا عليه من روح مرحة وإحساسات مرهفة بالجمال . وشعور حى بالموسيقى .وإذا تعلم الأفريقى وتحرر ماديا فان مستقبلا عظيما ينتظره ، والعالم لايستطيع أن يستغنى عن مساهمة أفريقيا فى ميدان الحضارة ، والأفريقيون لهم بالطبع أخطاؤهم كغيرهم من الشعوب . فهم على أهبة للتقليد الأعمى بدلا من اقتباس ماينياسبهم ، وهم يستطيعون أن يكونوا محافظين كسواهم من المزارعين وأن يتشبثوا بآرائهم فلا يحيدوا عنها ، وهم يستطيعون أيضا أن يطيعوا طاعة عمياء رؤساءهم فى أوقات الحروب التى يشنونها . وأن يتعالوا ويشمخوا بأنوفهم إذا أحسـوا بالحاجة اليهم ، ولا توجد وحدة تجمع شملهم ، وقد انتهز بعضهم فرصـــة التغيرات التى حدثت فى قارتهم بعد دخول البيض اليها للوصول إلى مركز استطاعوا فيه أن يسيطروا واستغلوا مواطنيهم الافريقيين فى وحشية لاتقل عن وحشية الأوروبيين . وبعض رؤسائهم قبـل أن يتآمر مع جماعة من المستعمرين البيض على أبناء وطنـه فى مقابل فتات تتبقى من مائدة أولئك

البيض ، ولكن يمكن أن يقال – على وجه العموم – إن الأفريقيين كمجموع كانوا مسالمين إلى حد كبير ، كرام الخلق . وإنهم خدعوا الى حد كبير وإنهم عانوا استغلال البيض لهم فى صبر الحليم . وهذه أخطاء قد تعد فضائل لو ان عالمنا كان أفضل من العالم الذى نعيش فيه !

والآن لننتقل إلى أمور أهم من هذا كله . فى القرن الماضى فقط استطاعت الجماعات الأوروبية التى استعمرت افريقيا أن تحول الاقتصاد الافريقى من اقتصاد زراعى قائم على أساس أن المنطقة تكفى نفسها بنفسها ، إلى اقتصاد قائم على أساس التعامل بالنقد ، ولم يتعود الافريقيون على التعامل بالنقد إلا منذ بضع عشرات سنوات ، ولا يزال معظم الافريقيين إلى اليوم خارج منطقة الاقتصاد النقدى ، والقليلون منهم الذين يشتغلون للارتزاق من الاجور التى يتقاضونها يفعلون ذلك لتكملة ميزانياتهم العائلية ، وهذه الأجور منخفضة ، ومتوسطها نحو أربعة بنسات فى اليوم ، أى نحو قرش ونصف قرش مصرى ولو أن الحرب العالمية الاخيرة قد أحدثت تغييرات هامة ، ومع ذلك . فحتى فى نيجيريا حيث يتقاضى سائقوا السيارات المهرة أقل من خمسة شلنات فى اليوم. لاتزال الأجور تعد فيها شيئا جديدا .وهى مفروضة فرضا على المستعمرين البيض الذين تعودوا من قبل على ترك الأفريقيين يعيشون حياة فطرية شقية ، وقد نتج عن أن النقد شىء جديد نسبيا على الافريقيين أن اثمان السلع منخفضة ، كما كانت فى أوروبا القديمة فى الامكان الحصول على وجبة طعام أفريقى طيب فى مقابل بنس واحد . أى أقل من نصف قرش مصرى ، والعملة الرئيسية فى غرب أفريقيا هى الانينى Anini وهى تقابل عشر البنس، ولا نظير لها طبعا فى العملة المصرية ، والغالبية العظمى من الافريقيين لا يزالون يعيشون على الزراعة التى تكفل لهم مطالبهم

وطرقهم فيها بدائية وخطرة ، فهم يحرقون الغابات ويخلون الأرض من أشجارها ثم يزرعونها حتى يجهدونها فاذا اجهدت انتقلوا إلى منطقة أخرى وفعلوا بها ما فعلوه فى سابقتها

والمناطق الصحراوية تمتد وتجتاح بسرعة مساحات من هذه القارة سبق أن اجتاحتها حشرة التستسى Tsetse وهذا خطر من أهول الأخطار الأفريقية فالصحراء وحشرة « التستسى » تعملان متعاونتين على تحويل افريقيا إلى أراض هلك فيها الحرث والنسل ، فلم يعد يعيش فيها انسان أو حيوان والعلم الأوروبى يكافح ببسالة هذين الخطرين ، وقد فاز ببعض انتصارات هامة ، ففى كثير من المناطق أسفرت المعركة عن إبادة الناموس ولكن فى معظم المناطق لاتزال المعركة مع التستسى دائرة فأحيانا يتغلب العلم وأحيانا ينهزم ، وفى بعض الحالات يعد قدوم الرجل الأبيض سببا فى تفاقم المشاكل الأفريقية ، فقد شجع البيض الأفريقيين على إنتاج محاصيل للتصدير ولكن هؤلاء البيض لم يعنوا إلا عناية تافهة بما إذا كان الأفريقيون يتخذون فى زراعة هذه المحاصيل الاحتياطات الضرورية ، فأغلى المحاصيل تصدر دون أن تستفيد الأرض التى أنتجتها أية فائدة من الأرباح الطائلة التى تعود على المصدرين البيض من بيعها فى الأسواق الأجنبية ، والمرض لايزال هو أشد المشاكل الأفريقية ، فالأفريقيون يعانون عادة أمراضا مختلفة، وبعض هذه الأمراض تقضى على حياة ضحاياها ، والبعض الآخر يحطم قواها وإلى جانب المرض يعانى الأفريقيون سوء التغذية ، فكثيرون منهم لايجدون قط كفايتهم من الطعام . وهناك كثيرون من هؤلاء يأكلون مالايجب أن يأكلوا والأفريقيون - طبعا - مفتقرون إلى التعليم ، وإلى عهد قريب لم تفتح لهم مدارس ، وكان عدد الذى فتح فى بعض المناطق قليلا جدا . كما أن عدد

الأطباء والمستشفيات قليل جدا ، وقد نشر قبل الحرب تقرير وضعه أربعة بريطانيين جابوا غرب افريقيا وهم «ساندمان آلين» Sandman Allen وآمون Ammon وكليمنت ديفيز Clement Davis وهيدين جيست Haden Guest أشاروا فيه إلى أن تقدم افريقيا فى المستقبل يجب أن يبنى على أساس الزراعة باعتبار أنها أهم ماتتعلق به الشعوب الأفريقية وذكروا فى هذا التقرير ، أن مايحتاج اليه الأفريقيون الآن هو تحسين مستوى المعيشة واعطاء الأفريقيين فرصة الاشتراك الكلى فى حياة العالم السياسية على أساس المساواة فى هذه الحقوق بينهم وبين الأوروبيين ، وتحقيق هذه المساواة لايتم إلا إذا وضعت الحكومة البريطانية برنامجا تتعهد بتنفيذه فى مدى أعـــوام محدده ، ويجب أن يقره زعماء شعوب غرب افريقيا عن اقتناع ورضى » .

وقد ختم المؤلف هذا الفصل من كتابه معلقا على هذه الفقرة من التقرير بقوله :

« منذ كتبت هذه الكلمات اتخذت بعض خطوات فى سبيل وضع برنامج للإصلاح ، ولكن تنفيذ هذا البرنامج سيستغرق وقتا ، وسيستنفذ صبرا ، ومالا كثيرا ، كما أنه يحتاج فوق هذا كله إلى اقتناع الرأى العام الانجليزى من كل قلبه بوجوب تعضيده ، وقد يكون تنفيذ هذا البرنامج تجربة يتبين منها العالم ما إذا كانت الأمبراطورية البريطانية ستبقى أو ستنهار ! »

الميزان

LA BASCULE

«موريس دونيه Maurice Donnay من الكتاب القلائل الذين وضعوا أساس المسرح الفرنسى فى أوائل القرن الحالى ، وقد مثلت قصصه فى فرنسا وترجمت إلى عدة لغات أخرى، وقصته « الميزان » La Bascule تعبر أصدق التعبير عن فن موريس دونيه ، فهى قصة هادئة ناعمة لينة تتعرض لبحث أزمة عاطفية من الأزمات التى يمر بها معظم الأزواج والزوجات وخاصة فى فرنسا ، وهى خالية خلواً تاماً من مظاهر العنف والدجل والتهويل التى اعتاد الكتاب المسرحيون فى العصر الذى ظهرت فيه « الميزان » أن يعمدوا اليها لإستجداء تصفيق النظارة !

. . . .

غرفة من غرف الممثلين فى أحد مسارح باريس الكبرى ، وعلى وجه التحديد غرفة الممثلة الأولى فى ذلك المسرح روزين بيرنيه Rosine Bernier التى تقوم بتمثيل قصة حديثة للمؤلف بول لورسى Paul Lorsay وقد نجحت روزين فى أداء دورها نجاحا باهراً تحدثت عنه باريس ، وأقبل من أجله رئيس الجمهورية نفسه لمشاهدة القصة وطريقة تمثيل روزين لها . . ولا نلبث أن نعلم من حديث روزين الى إحدى زميلاتها شيئاً عن خلقها، فهى من النساء اللاتى لا يقبلن أن يكون لهن صديقان فى وقت واحد! وهى لذلك ضجرة بمظاهر الغرام والحب التى يبديها ذلك الجمع الحاشد من المعجبين الذى يحيطها كل ليلة ولكنها مع ذلك تشكو من أنها تعيش بغير أن يخفق قلبها ! ونعرف من

حديث الممثلة الأخرى ان لورسى مؤلف القصة الشاب يميل الى روزين وانه قد يكون من محبيها . ولا تكاد تنقضى برهة حتى يقبل لورسى ويتحدث الى روزين حديثا نستطيع أن نستشف منه مبلغ العاطفة التى تضطرم فى صدره نحوها ، ولكنها لاتلبث أن تستقبل فى نفس الغرفة شخصاً آخراً يدعى هوبير Hubert . تتلقاه فى حفاوة حارة وترحيب قوى ، ونعرف أن هوبير هذا كان صديقا لها فى أوائل عهدها بالمسرح ولكنه انقطع عنها منذ خمسة أعوام فلم تعد تعرف عنه شيئا . وهى تسأله عما أبعده عنها طول تلك المدة ، فيجيبها انه انتقل الى الريف وانه كان قد شاهدها فى أول ليلة لتمثيل القصة الجديدة فسر لنجاحها العظيم سروراً دفعه الى مشاهدة المسرحية عدة مرات الى ان رأى رئيس الجمهورية فى هـــذه الليلة يشترك مع النظارة فى إبداء الإعجاب بفنها . وعندئذ فكر فى أن يصعد هو الآخر كصديق قديم ليقدم لها تهانيه ! وتحس من خلال حديثهما أن روزين سعيدة بلقاء صديقها القديم وانها راضية بأن تصل ما انقطع من تلك الصـداقة . . ولكنها لاتلبث أن تعلم أن هوبير متزوج فتذهل فى بادىء الأمر ثم تتمالك قواها وتسأله عما إذا كان قد أنجب من زوجته أولادا أم لا . . فاذا أجابها بأنه لم يرزق حتى ولا ولداً واحداً تطرقت الى سؤاله عما إذا كان يحب زوجته ؟ فيجيبها بأن عاطفته نحوها أقرب الى الحنان منه الى الحب وأن هذه الزوجة تحبه حباً يقرب من الجنون . فاذا قالت له :

— إذاً فأنت لاتستطيع أن تحبنى !

أجابها مسرعا :

— أستطيع أن أحبك الى درجة الجنون . !

ويشعر بمبلغ ريبتها فى صدق قوله فيحاول أن يثبت لها انه فى مكنة

الرجل المتزوج أن يحب وأن يكون وفياً فى هذا الحب ! ويدلل على ذلك بنفس موضوع القصة التى تقوم هى بتمثيلها ، فبطلة القصة متزوجة من أحد النبلاء وهى جميلة فاتنة ومع ذلك فهذا لم يمنع زوجها النبيل من أن يخونها ! ولكن روزين تعترض على ذلك بأن بطلة القصة انما هى من ذلك الصنف من الزوجات اللاتى يبغضن حياة كالحياة التى كانت تعيشها ممثلة دور البطولة . ويدهش هوبير لذلك فهو لم يكن يعلم ان روزين تزوجت ، ولكنها تدلى اليه بأنها كانت متزوجة برجل من الأشراف يدعى الكونت ده بلانكا De Blancas ، ولكنه أراد أن يمنعها عن مزاولة مهنتها وان يرغمها على الحياة معه فى الريف فملت تلك الحياة وحنت الى أضواء المسرح وحياة الفن .

ويعود هوبير إلى اغرائها لكى تقبله صديقا ... فتقبل ، ويتفقان على أن يمر عليها بعد انتهاء التمثيل ... ولا يكاد يخرج بعد أن يقبل يدها وهو أشد ما يكون تأثراً وانفعالا ، حتى تقول روزين لخادمتها وهى تتقدم للظهور على المسرح لتمثيل دورها بينما يهبط الستار

— أنه يحبنى ... اسرعى ... اسرعى يا إبنتى !

• •

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى مقاطعة «بروتانى» وفى منزل الأسرة التى تنتمى اليها مرجريت زوجة هوبير . وقد أخذت مرجريت تتحدث إلى بعض أفراد أسرتها عن زوجها وعن آمالها فتعلم أن أقصى آمال تلك الزوجة أن ترزق من زوجها ذرية تبعث فى منزلها المرح والبهجة والسرور ونفهم أنها سافرت الى إحدى مدن الاستشفاء فقضت بها بضعة أسابيع بينما كان زوجها فى باريس وحيداً دون أن يكون عليه رقيب ! ونشعر من تعليقها أنها تثق بزوجها وتحبه وتخلص له

ولا تكاد مرجريت تغادر الغرفة حتى نعرف أن هوبير قد تلقى رسالة بتوقيع ده بلانكا زوج الممثلة روزين يستدعيه فيها للحضور بسرعة. وأنه لما تلقى تلك البرقية استنتج توا أن ده بلانكا قد علم بالعلاقة التي بينه وبين روزين وأنه رغم افتراقه عن روزين قد ثار فأرسل يستدعية ليثأر لشرفه ! وتعرف أيضا أن هوبير قدخاف على سمعته وخشى أن يفتضح أمره أمام زوجته التي لاتعلم شيئاً عن ذلك كله فأرسل أحد اصدقائه الى روزين التي تقيم هي الأخرى في بلدة مجاورة يخبرها انه مضطر لأن يقطع كل علاقة له بها، وهو لايزال ينتظر عودة ذلك الصديق على أحر من الجمر. ويعد الدقائق والثواني لكي يرى كيف قابلته روزين وماذا تم بينهما، وهواثناء ذلك تنتابه أزمة يحس فيها بجريمته التي ارتكبها في حق زوجته باقدامه على إنشاءعلاقة آثمة بامرأة أخرى. وتحس به وهو يكاد يهم بالاعتراف لزوجته.

ويعود الصديق الذى ارسله اخيراً ليخبر هوبير بأن البرقية التي تلقاها بتوقيع ده بلانكا انما كانت في الواقع مرسلة من روزين نفسها إذ انها خشيت ان تقع البرقية في يد زوجته، ويدهش هوبير لذلك ويسأله عما فعل بالرسالة التي كلفه بارسالها الى روزين وعندئذ يجيبه بأنه اعطاها لها إذ انها كانت مغلقة ولم يكن يعلم مافيها !

ويثور هوبير لدى سماعه ذلك، فقد كتب تلك الرسالة يقطع علاقته بروزين على اعتقاد أن طليقها هو مرسل البرقية ولكنه وقد اتضح انها هي التي أرسلتها وكانت تظن انه يفهم ماترمى اليه فقد كان واجباً ألا تصل رسالته الى يدها ! ويلحظ قريب زوجته إرتباكه فيشبهه بقصبة نوع من الموازين الريفية التي كانت تتكون من لوح يوضع على حجر كبير، فاذا ارتفعت إحدى الكفتين انخفضت الكفة الأخرى ويذكر له انه قصبةميزان عاطفي !

زوجته فى إحدى كفتيه وروزين فى الكفة الأخرى ، ويسأله :

— وأين زوجتك الآن : فى أعلا أو فى اسفل الميزان؟

فيجيبه هوبير :

— فى الكفة العليا ! فى الكفة العليا !ـ ولا يكاد يلتفت حتى يرى زوجته مقبلة فيدللها ويخاطبها بلهجة رقيقة حنـون . ثم يدور بين الزوجين هذا الحوار الرائع .

مرجريت : انت تحب زوجتك العزيزة إذن ؟

هوبير : آه .. ؟ أجل اننى أحبها

مرجريت : أحقا ماتقول ؟

هوبير : إطمئنى . إنك فى الكفة العليا

مرجريت : « مندهشة » العليا ؟ ماذا تقصد ؟

هوبير : فى العليا .. فى العليا ... فى العليا تماما !

. . .

وتنقضى ثلاثة شهور .. وقد تصالح اثنائها هوبير مع روزين واعتذر لها عن حادثة الرسالة التى أرسلها إليها يعلن فيها قطع علاقته بها ويستعيد الاثنان فعلا تلك العلاقة ويتفقان على اللقاء فى موعد تذهب اليه روزين راضية، ويدخل الاثنان الى المكان الذى أعداه لذلك اللقاء ولكن لايكاد هوبير يطل من نافذته حتى يصيح كالمجنون ويهبط درج السلم مسرعا وهو يعلن أنه رأى زوجته داخلة الى نفس ذلك المكان ، وتنتظر روزين مدة فلا يعود ، ثم تسأل الخادم عن سر كل تلك الضجة التى أثارها فتعلم أن هناك

سيدة كانت قد دخلت لتزور إحدى قارئات الكف وقد ظن هوبير انها زوجته فأسرع بالخروج وترك روزين وحدها ثم لم يعد اليها ...

وأنت تعرف تفاصيل تلك الحادثة من حديث يدور بين روزين وإحدى زميلاتها فى منزل روزين كما تعرف ان الممثلة الكبيرة قد اعتزمت ان تثأر لنفسها بأن تعلن الى هوبير بأنها تحب المؤلف لورسى وهذا المؤلف قد أكثر فى الواقع من التردد عليها فى الأيام الأخيرة وصارحها بحبه لها. وهى تذكر لزميلتها انها أرسلت فى استدعاء هوبير لتجابهه بذلك إذ من العبث أن تكتفى المرأة بأن تصارح صديقها بأنها لاتحبه بل يجب أن تردف ذلك بقولها أنها تحب شخصا آخر! وتؤكد لزميلتها أنها قد انتهت الى اليقين بأن الرجل المتزوج لايصلح لأن يكون صديقا لأن مجرد الظن بأن زوجته على مقربة منه يجعله يسرع بالهرب تاركا صديقته وحدها لاتعرف ماذا تفعل فى ذلك الموقف الحرج ...

ويقبل هوبير بعد قليل وتجابهه روزين بأنها تحب لورسى وبأنها ترغب فى ألا تراه بعد ذلك. ويستشيط هوبير غضبا لدى سماعه ذلك ويلمح من طرف خفى الى انها بذلك تدفعه الى أن يتخذ قراراً خطيراً قد يهدد حياته كلها بالخطر وتفهم روزين من ذلك انه يفكر فى طلب الطلاق من زوجته فتنصحه بالا يفعل ذلك وتخبره بأنها قد علمت بأن زوجته تحبه وانها لاتستحق منه إلا كل خير ..

وتحاول روزين الخروج للذهاب الى موعدهام ولكنه يمنعها من الخروج معتقداً انها ذاهبة للقاء لورسى ويعمد الى استعمال شىء من العنف فى منعها فلا ترى هى مناصا من الإلتجاء الى الحيلة والدهاء وتجلس الى جانبه تدلله فى رقة وحنان وهى تكرر له أنها ما كانت تظن أنه يحبها الى هذا الحد ثم

تستأذن منه وبعد برهة تظهر فى شرفة تطل على المكان الذى تركته فيه ويتحدث الاثنان. هو فى الغرفة وهى فى الشرفة حديثا قصيراً ينتهى بان تدعه وحيداً فى ذلك المكان وتذهب هى الى الموعد الذى كانت قد ذكرته له ويتبين هوبير انها سجنته فى ذلك المكان إذ اغلقت الباب بالمفتاح حتى لا تمكنه من الخروج وسخرت منه وهى خارجة فطلبت منه أن ينتظر أوبتها من المسرح بعد أربع ساعات. ويسمع ضحكاتها وهى تهبط الدرج فيدور فى الغرفة وهو يصيح !

- روزين ..! روزين هذا فظيع ! .. هذا فظيع ! القدضعت ! ماذا أقول لزوجتى ؟ هذا مخيف كيف يمكن الخروج من هنا ! لقدضعت ! آه ! اللعينة ! ثم يلقى بقبعته على الأرض وفى ثورة حنق وغيظ يركل المائدة بقدمه فتسقط أوانى الشاى وتتحطم !

. . . .

فاذا كان الفصل الأخير فنحن فى منزل هوبير وقد أخذ اصدقاؤه وأقارب زوجته ينتظرونه على أحر من الجمر إذ طالت غيبته عن موعد العشاء الذى اعتاد أن يحافظ عليه منذ تزوج مرجريت فاذا اشتد الضجر بمرجريت لتأخر زوجها خشيت أن يكون قد اصابه سوء حتى عاقه عن الحضور فى موعده المعتاد فخرجت من المنزل وأخذت تجوب انحاء باريس وتستفسر من « اقسام » بوليسها عن الحوادث واسماء المصابين

ويقبل هوبير أخيراً مع رجل من أقرباء زوجته وتعلم من حديثهما أن ذلك الرجل قد كلفته مرجريت بالبحث عن زوجها فأعياه البحث وأخيرا فكر فى الذهاب الى روزين لعلها تهديه وقد صدق ظنه إذ انها أخبرته بالمكان

الذى حبست فيه هوبير وأعطته المفتاح لكى يفتح له الباب ويسهل له الخروج!

وتعود مرجريت الى المنزل أخيرا فلا تكاد ترى زوجها حتى تسقط على احد المقاعد فاقدة الوعى لشدة اعيائها وتعبها ويلتف الجميع حولها ليعنوا بها ويتحدث هوبير إذ ذاك الى من يجاوره فتثور مرجريت وتتهمه بانه لاقلب له وانه بينما يراها فى تلك الحالة السيئة التعسة بسببه لايتحرج عن التحدث الى الناس والمزاح معهم ويدفع هوبير هذه التهمة بحجة ترضيها غاية الرضى إذ يخبرها بأن صديقا له كانت له زوجة لم يرزق منها ذرية قط وقد حاول بكل الطرق ان ينال تلك الذرية المنشودة فلم يوفق وأخـــيرا حدث انهما كانا سائرين فى أحد شوارع باريس فاختلط على اثنين من رجال البوليس شكل الزوج وقبضا عليه باعتبار انه مجرم فار واقتاداه الى المخفر وحجزاه هناك مدة ما حتى أمكن إستجوابه وقد ذهلت زوجته لذلك وكانت الصدمة شديدة عليها إذ انها لم تعرف فى بادىء الأمر السبب فى القبض على زوجها فلما اتضحت الحقيقة . كانت الصدمة قد أثمرت ثمرتها ولم تكد تنقضى تسعة شهور حتى رزق الزوجان ولدا جميلا!

ويعتذر هوبير بعد ذلك عن سبب تأخره بعذر ما ويؤكد لزوجته ان هذه الصدمة التى حدثت لها سوف تحقق أملها العتيد فى الحصول على ذرية منه ويدعوها لهذه المناسبة الى تناول العشاء فى أحد المطاعم . . .

وتقبل هى دعوته على ألا يعود مرة أخرى الى التأخر عن موعده فيعدها ويقسم على ذلك ، ولكنه ينبهها الى انها قد لاتكتفى بولد واحد لأنها إذ ذاك سوف تكون فى حاجة الى صدمة أخرى !

وتنتهى القصة هكذا فى حوار هادىء لاضجة فيه . .

مرجريت — مادمت قد فطنت الآن فلن أنزعج مرة أخرى ولن يصيبنى ما أصابنى اليوم ثم إننى قد فكرت وسوف اقنع بولد واحد

هوبير — هيا استعدى للخروج

فاذا غادرت مرجريت الغرفة وتبين هوبير انه خلا الى نفسه تمتم

— كلا ... هذا ليس ممكنا ... يجب ان أعدل عن هذه الحياة ... ليس من المعقول ان يحب الرجـــل زوجته ويفضلها على الناس أجمعين ومع ذلك يخونها ...!

فى داخل الولايات المتحدة الأمريكية

INSIDE U. S. A

هذا الكتاب هو الحلقة الرا بعة من سلسلة الكتب الوصفية الدقيقة التى أصدرها جون جنتر Iohn Gunter ، واجتهد فيها أن يقدم لقرائه صورة جريئة فذة للعالم الحديث، وكتاب «فى داخل الولايات المتحدة الأميريكية» كالكتب التى سبقته لنفس المؤلف ينهج نفس النهج فى الدراسة والتحليل والعرض ، ولا يفترق عنها إلا فى انه أضخم حجما ، ويبدو لقارىء هذا الكتاب جلياً بعد الانتهاء من تلاوته ان مؤلفه أعاد اكتشاف الولايات الثمانى والأربعين التى تتألف منها الولايات المتحدة ، وانه كان يسائل نفسه كلما جاب ولاية من هذه الولايات «ما الذى يميز هذه الولاية عن غيرها؟» ، وقد رأى النقاد الذين حللوا كتب «جنتر» انه فى كتاب «فى داخل أوروبا» Inside Yurape درس برامج الأحزاب السياسية التى ظهرت قبيل الحرب العالمية الأخيرة فى إيطاليا وألمانيا وأسبانيا وغيرها ، وهى برامج أضفى واضعوها عليها مسحة من الوطنية المتطرفة ، وانه فى كتاب «فى داخل آسيا» درس أنظمة الاستعمار الأوروبى ، بينما فى كتابه الأخير الذى هو موضوع حديث اليوم قد درس الديموقراطية وهى تعمل ، واكتشف القوى العديدة المعقدة التى تحرك الولايات المتحدة الأميريكية ، وكان متوقعا بعد ان اصدر «جنتر» كتبه الثلاث الأولى «فى داخل أوروبا» و «فى داخل آسيا» و «فى داخل اميريكا اللاتينية» وهى التى بيع منها فى الولايات المتحدة وحدها أكثر من مليون

نسخة والتي ترجمت الى تسع عشر لغة اجنبية ، كان متوقعا أن يتوفر على إخراج هذا الكتاب عن الدولة التي ينتمي اليها .

ومن الفصول الطريفة التي يضمها كتاب « جنتر » الجديد والتي تهم الشرق العربي فصل عن حياة السود في امريكا ، جعل عنوانه « أحياء هارلم » وقد عرف الناس هنا أن حي السود في نيويورك يطلق عليه اسم « هارلم » ولكن القليلين هم الذين يعرفون ان دولا أخرى في اميريكا تضم احياء لرعاياها السود تحمل نفس الاسم . ففي جمهورية «بويرتوريكا» Puurto Rico وفي جزيرة هايتي Haiti حيان يحملان نفس الأسم . كما ان القليلين هم الذين يعرفون أن حي هارلم بنيويورك يعيش فيه روسيون واسبانيون ومكسيكيون وصينيون ويابانيون ممن يرفضون العودة الى كاليفورنيا وهي الولاية التي تقابل وطنهم الأصلي في الجانب الآخر من المحيط الهادي . وهذا الحي يضم أكبر جالية فنلندية في الولايات المتحدة . ولعل هذا الطابع الدولي يبدو جلياً في مدرسة « بنجامين فرانكلين العليا » التي تقع على ضفة النهر الشرقي وهي إحدى مؤسسات الأميريكيين السود ، فلا يوجد معهد آخر في اميريكا يضم من تضمه هذه المدرسة من طلبة ينتمون الى أمم الدنيا المختلفة ، وأكبر جالية تلي الزنوج الذين يعيشون في « هارلم » عدداً هي الجالية البويرتوريكية إذ يبلغ عدد أفرادها نحو مائة الف . فأهل بويرتوريكا والزنوج يعيشون في وفاق جنبا الى جنب ، وقد ذكر « جنتر » في كتابه أن رجلا من بويرتوريكا أخبره ذات يوم أن هـــذا الوفاق طبيعي لأن بني وطنه يرغبون في أن يكتسبوا العقلية الأميريكية في أسرع وقت ممكن فاختاروا « هارلم » لأن الزنوج يمثلون الثقافة الانجلوساكسونية ! وأهل « هارلم » مطمئنون الى الضمانات التي تحمي حرياتهم الشخصية الى حد أن صينيا يحترف مهنة غسل

الملابس وكيها علق على باب حانوته لافتة أعلن فيها أنه ملون ! كما أن هارلم تضم جالية من اليهود السود . وحى « هارلم » وان لم يضم أكبر عدد من زنوج اميريكا إلا انه أهم مركز لنشاط هؤلاء السود ، فبين الشارع رقم مائة وعشرة والشارع رقم مائة وخمسة وخمسون ، وبين ماديسون افينيو وشارع نيكولاس ، يعيش نحو ثلاثمائة وعشرة آلاف زنجى ، وهذا العدد يفوق عدد سكان بعض مدن بأكملها من مدن الولايات المتحدة كمدينة « أوريجون » التى ترسل وزارة معارفنا بعض بعثاتها العلمية الى جامعتها ، وحى « هارلم » لايضم اكثر من نصف عدد الزنوج الذين يعيشون فى مدينة نيويورك . إذ ان عددهم يبلغ ستمائة الف ، وقبل بضعة أعوام كان الزنوج يعيشون فى أماكن منعزلة لايختلطون فيها بالبيض . أما الآن فقد انتشروا فى كل المدينة وحى « هارلم » نفسه يتسع تدريجيا يوما بعد يوم فان أهله لا يعترفون بأن له حدوداً معينة يقفون عندها !

ويذهب « جنتر » فى كتابه الجديد الى أن « هارلم » يشبه « هوليوود » مدينة السينما فى أن هاتين المنطقتين انفصلتا عن باقى الوطن الأميريكى وتميز كل منهما بطابع خاص من الصعب وصفه ، وان أسهل شىء هو أن نقول أن « هارلم » هو صورة سوداء مصغرة لكل مدينة نيويورك ! ويخيل الى الناس أن « هارلم » لايعدو أن يكون حياً من أحياء الفجور تتناثر فيه الملاهى والمراقص . مع ان بعض أهالى « هارلم » لم يروا ملهى ليلياً فى حياتهم ولا مرة واحدة ! ولكن هذا لايمنع أن جزء من « هارلم » قد خصص لأغراض اللهو والعبث وقد ذكر « جنتر » فى كتابه أن الاجماع منعقد على أن هذا الجزء من اكثر أحياء الدنيا ازدحاما بالناس ، وان ممثلا لإحدى شركات بناء المساكن قد زار مسكناً فى « هارلم » انقضى على بنائه اربعة

وستون عاما فوجده ملوثا قذراً كريه المنظر يهددالصحة بالخطر وان الفيران فيه كانت من الكثرة الى حد انه قيل عنها إنها لم تقبل اليه لتأكل بل لتطهى طعامها ايضاً !

ولكن هذا كله لا يعنى أن « هارلم » من الأحياء القذرة ، ففيه عدة أبنية يضم كل منها شققا للسكن بنيت قبل أن يصبح الحى حياً زنجياً بمدة طويلة ، ولا تزال تحتفظ برونقها ، والمشكلة تبـــدو فى احتشادها بالسكان وسوء العناية بها . كما انه قد بنيت فى المدة الأخيرة عدة أبنية حديثة للسكن ، ومنها عمارة تعرف باسم « تل السكر » يتباهى أهل «هارلم » بأن ساكنيها هم أرشق من فى امريكا السوداء . ففيها يسكن والتر هوايت Walter White سكرتير «الجمعية الوطنية لتقـــدم الشعب الملون » National Association For the aduoncementof Colored People وتشارلز تونى Charles Tony القاضى ببلدية نيويورك وروى ويلكنز Roy Wilkins محرر صحيفة «الأزمة» وتيرجود مارشال Thuur Good Marsgall أحد مشاهير المحامين السود . وتبلغ قيمة الإيجار فى عمارة «تل السكر» خمسة وثمانين دولاراً فى الشهر للشقة التى إذا وجدت فى حى « بارك افينيو » وهو من احياء نيويورك الراقية فان أجرتها لا تقل عن ثلاثمائة دولار شهريا .

وفى « هارلم » تصدر عدة صحف زنجية منها الصحيفة المحافظة « امستردام نيوز » AMesterdam News والصحيفة الراديكالية «صوت الشعب» Peaples Voic'e ولكن لا توجد به متاجر زنجية للثياب والحاجيات المنزلية وهى التى يسمونها فى امريكا Deparlement slores فان معظم المتاجر التى من هذا النوع والتى توجد بالشارع الرئيسى فى الحى وهو الشارع رقم مائة وخمسة وعشرون يملكها يهود ! ومعظم ملاك أراضى البناء من البيض الذين لا يقطنون الحى ،

كما لايوجد به مصرف زنجى ولكن الفروع الخاصة بالحى والتى تتبع مصارف البيض تستخدم فى عملها موظفين من السود .

وفى « هارلم » دار سينما واحدة يملكها زنجى كما ان أهم فنادقه وهو فندق «تيريزا» Theresa أغلبية نزلائه من الزنوج وان كان يملكه رجل أبيض ويعيش فيه نفر من البيض . وأهم عمل تجارى فى « هارلم » هو التأمين وتليه إدارة صالونات الحلاقة التى يبلغ عدد الزنجية منها خمسة وسبعين صالونا

ولنقابات العمال نفوذ عميق فى أهل هذا الحى الأسود ، فان عدد الزنوج المنضمين الى اتحادات العمال فى مدينة نيويورك لايقل عن خمسين الفاً موزعين على مختلف الحرف ، كالعمال فى مغاسل الثياب وصناعة الثياب والحمالين والنقاشين وعمال الموانىء . وبعض شوارع « هارلم » تضم عدداً من أعضاء نقابات العمال أزيد من عدد أولئك الأعضاء فى ولاية بأكملها كولاية جورجيا مثلا ، ولعل السبب فى هذا أن مدينة نيويورك تعد – بوجه عام – أقل تشدداً فى التفرقة بين البيض والسود من غيرها من المدن الأمريكية ، بل ان بعض إجراءات هذه التفرقة تعدها قوانين نيويورك باطلة . ولكن هذا لم يمنع من أن هناك شيئا من التفرقة لايزال ساريا رغم نصوص القانون

وليس لحى « هارلم » زعيم سياسى يسلم له أهل الحى جميعهم بهذه الزعامة كما أن مدينة نيويورك نفسها ليس لها مثل هذا الزعيم ، فأهل « هارلم » يدينون بمذاهب سياسية مختلفة . ومنهم من لاتعوزهم الصراحة فيعلنون أنهم خصوم للبيض ، ومن الشخصيات الطريفة فى هذا الحى شخصية عبد الحميد الصوفى الذى أطلق عليه إسم « هيتلر الأسود » والذى دعا الى عقيدة روحية جديدة وانشأ لأنصاره « معبد السلام والأمن » . كما أن من

الشخصيات اللامعة فى الحى شخصية الدكتور كليلان باول Clilan Pawll محرر صحيفة « امستردام نيوز » وهو من أشد الزنوج المحافظين تحمساً .

ولعل مما يثير الاهتمام ان رئيس لجنة موظفى الدولة فى مدينة نيويورك وهو فرديناند مورتون زنجى . كما ان أحد اعضاء اللجنة التى ألفتها حكومة الولايات المتحدة طبقا لقانون « آيفز » Ives لألغاء التفرقة بين البيض والسود من رعاياها وهو إيلمر كارتر Elmer Carter زنجى هو الآخر ، والعضو الشيوعى الوحيد فى مجلس ولاية نيويورك وهو بنجامين ديفيز Bengamin Davis زنجى وهو من خريجى مدرسة الحقوق بجامعة هارفارد كما انه يصدر صحيفة « ديلى ووركر » Daily Worker وهى صحيفة شيوعية مع أن والده من اقطاب الحزب الجمهورى فى ولاية « اتلانتا » وهو يصدر فيها صحفا تنطق بلسان الجمهوريين !

ولقد ختم « جنتر » هذا الفصل الممتع من كتابه بهذه الكلمات

« فى ركن من أركان الشارع على مقربة من فندق « تيريزا » وقفنا نستمع الى خطاب كان يلقيه آدام كلايتون Adam Clayton الزنجى عضو « الكونجرس » الذى يكرهه كثير من الزنوج . وهذا الرجل له صوت ساخن يخيل الى سامعه انه يخرج من جوفه نزيفاً متدفقاً ، وهو لا يتوقف لحظة واحدة بين الجمل . وفى تلك الليلة كان ينكر فى لهجة تفيض عداء للبيض أن زوجته هازيل سكوت Hazel Scott العازفة الشهيرة على البيانو من الجنس الأبيض ، كما زعم بعض الأغبياء ! وقد صاح الخطيب « ان كل زنجى ، ولد لأب زنجى ، يجب أن يكون زنجياً ، يجب أن يتعصب لزنجيته ، يجب أن يكون مكافحاً على الدوام . »

وهذا الخطيب يحترف الوعظ ، كما كان يفعل أبوه من قبل . وهو يتبع الكنيسة الحبشية البروتستانتية التى يبلغ عدد اتباعها عشرة آلاف على الاقل وهو أول زنجى ينتخب فى مجلس مدينة نيويورك . كما انه أحد زنجيين أنتخبا عضوين فى الكونجرس .

ولكي ألخص ماسبق أقول ان أهم مايميز حى « هارلم » انه يتيح لزنوجه وزنوج نيويورك فرصاً أفضل للنجاح ويمهد لهم حقولا للعمل لايتسنى لهم الحصول عليها فى أية مدينة أخرى مماثلة . فانهم فى هذا الحى تعطى لهم فرص التعليم والعمل الحر والتطور الاجتماعى وخدمة الدولة ، وهم فيه ينالون نسبة من حقوق المواطن الاميريكى لاينالها الزنوج فى غير تلك المنطقة من الولايات المتحدة »

راقصة ماتت

UNE DANSEUSE EST MORTE

هذه قصـــة للممثل لا الـكاتب لو بارجى Le Bargy فلو بارجى ممثل قبـــل كل شىء ، وهو من الممثلين الذين كانت تعتز بهم خشبة المسرح فى فرنسا . بل فى العالم أجمع. وقد كتب هذه القصة التى أسماها « راقصة ماتت » Une Danseuse est Morte بعد أن قام بإخراج عدد هائل من المسرحيـات الخالدة لأكابر الـكتاب المسرحيين فى فرنسا كهنرى لافدان وبول هيرفيو ووفق فى إخراجها التوفيق كله ... وقد حضر إلى مصر فى أوائل القرن العشرين ولعب دوره المعروف فى قصـــة « المركيز ده بريولا » على مسرح الأوبرا الملكية ، ووصل إلى ذروة النجاح التى تقصر جهود غيره من الممثلين عن الوصول إليها !..

• • •

نحن فى بيت الآنسة ريجين Regine Rolland وهى شابة مشتعلة الحواس جياشة العواطف ، كانت تشتغل راقصة فى أحد ملاهى باريس ، فلاقت فى رقصاتها نجاحاً لا بأس به ؛ ولا يكاد يبدأ الفصل الأول حتى تعلم من حديث يدور بين ريجين وعمة لها أنها صـــديقة رجل أعجب بها وهى تلقى أحد أناشـــيدها فى الملهى الذى كانت ترقص فيه ، فألقى عليها باقة من القرنفل الأحمر ، ثم عرض عليها أن يعيشا معاً ، بعد أن أكد لها حبه وتقديره . . فاستأجر لهـــا هذا البيت الذى تعيش فيه ، وهو يتردد عليهـــا من

آن إلى آخر ؛ ولـكنها سئمت هذا النمط من الحياة ، فهذا الرجل يحجر على حريتها ، ويحرم عليها العمل أو الرقص واللهو الذى كان غذاء روحها الفنية فيما مضى.. وهى تبدى لعمتها ذلك السأم الذى ينغص عليها حياتها وتصارحها بأنها قد اعتزمت قطع ما بينها وبين صديقها والعـــودة إلى اعتلاء المسرح والرقص فى ملاهى باريس !

ويقبل شاب يدعى فريد Fred فتعـــلم أنه الذى تحبه ريجين وتريد من أجله أن تهجر صديقها الذى يعولها وينفق عليها. وهما يتناجيان الحب ، فتحس بأن كلا منهما يكاد يفنى فى الآخر ، تطلب اليـــه أن يعانقها ويضمها اليه ، فيفعـــل ، ولـكنها سرعان ما تتخلص منه وتسرع الى النافذة وكأنها سمعت صوت خطى ، ولاتلبث أن تفهم السر فى الحركة ، فهى تخشى أن يكون صديقها قد قدم ! وهى تصارح « فريد » بذلك فيطمئنها ويتفقان على أن يعود فريد بعد خروج صديقها ـ وأن يدق كالعادة ـ ثلاث دقات على النافذة ، ثم ثلاث دقات أخرى على الباب !

ولا يكاد يخرج فريد حتى يقبل « چاك » صـــديق ريجين . . وسرعان ما يفاجئها بأنه قد رأى كل شىء ؛ وتتبين ريجين أن الصوت الذى سمعته وهى تعانق فريد كان صوت خطى چاك ، وأنه رآها وهى تعانقه . . وعندئذ تثور فتصارحه هى الأخرى بأنها اعتزمت قطع ما بينهما من صلة ومغادرة البيت الى حيث تتابع حياتها كراقصة ، وهى تهزأ بما أنفقه عليها من مال ، وتذكر له أنها وهبته شبابها وفتنتها وحنانها ، وأنها قبلت المعيشة معه رغم تفاوت السن بينهما ، وهو يتهمها بأنها تتركه من أجل رجل آخر تحبه . ثم يقول لها :

ـ أنـكن جميعاً على وتيرة واحدة عندما تقدمن على الخيانة ! فالسعادة مع

العشيق الجديد لا تكفى ، بل أنكن تعمدن دائماً إلى اشـــقاء العشيق الذى تهجرن !

ولكنه يعود بعد ذلك فيبدى استعداده لقبول ماتقترحه . وهو يضع نفسه تحت تصرفها ويقبل كل شىء ! فتذكره بأنه ظل طول المدة التى اتصل بها فيها يحيط نفسه بجو من الغموض والأسرار ، فهو الى هذه اللحظة لم يطلعها على شخصيته ... وهنا يميط اللثام عن تلك الشخصية ، فإذا به جاك برسانج Barsanges المحامى والنائب الاشتراكى المعروف الذى تولى الوزارة عدة مرات ولا يزال فى مكنته أن يتولاها متى شاء ، فإذا علمت ذلك وأخبرها أنه أعزب سألته :

ـ مادمت أعزب ، فمن التى توقع مقالاتها بامضاء « أليس بارسانج » فى جريدة « الشعب » ؟

فيجيب أنها شقيقته ، وأنه من أجلها ومن أجل أعضاء الحزب الذى ينتمى اليه قد تعمد احاطة حياته الخاصة بذلك الغموض لكيلا يدع مجالا للطعن عليه .

ثم تلمح الى أن الوقت قد مر سراعاً ، والى انه يحسن به أن يتركها ! وتطلب إليه أن يخرج فهى تحب شخصا آخر ! . . فإذا أبى الخروج عمدت الى النافذة وصاحت :

ـ فريد ! فريد !

ويثور جاك . ويأمرها أن تكف عن تلك الإهانة القاتلة . فتقول :

ـ أنه سياتى .. لابد أنه قد سمعنى .. انه ينتظر خروجك .. سيعود لقضاء هـــذه الليلة هنا !

وعندئذ لايتمالك جاك نفسه فيهجم عليها ويقبض على عنقها وهو يصيح :

ـ لن ترينه مرة أخرى .. عشيقك فريد .. أتسمعين .. لن ترينه أبداً . أبداً !

ثم يلقيها على المقعد الطويل ، ولكنه يتبين تواً انها سقطت هامدة لا حراك بها فيتقدم إليها فى رهبة وينادى :

— ريجين ! ريجين ! كلميني ، إن صمتك يرعبنى . . ريجين !

ثم ينحنى عليها ولا يكاد ينصت إلى قلبها حتى يصرخ :

— لقد ماتت .. أنا الذى قتلتها !

وفى هذه اللحظة تسمع ثلاث دقات على النافذة ، فيبدو الخوف على جاك ويطفىء المصباح ، ولكن ضوء القمر يغمر جثة ريجين ، فاذا تقدم جاك إلى باب السلم الخلفى سمع ثلاث دقات أخرى على هذا الباب ، فيتراجع مذعوراً ويخرج من الباب الصغير بينما فريد يصيح من الخارج :

— ريجين .. افتحى !. . إنه أنا !

• • •

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى مكتب چان بارسانج ، وقد أخذ يتحدث إلى شقيقته أليس Alice ويشرح لها كيف ماتت صديقته الراقصة ريجين ... وأنت تفهم من هذا الحديث أن ريجين كانت مريضة بضعف القلب ، وأنه ما كاد جاك يقترب منها حتى سقطت ميتة ، ولكنه لم يكن له يد فى ذلك ، وهو أشد ما يكون ندماً وتألماً وشقاء لوقوع تلك الكارثة .

ويحضر الخادم الصحف الصادرة فى الصباح ، فإذا بها تنشر نبأ الفاجعة وتشير إلى أن القاتل قد وجد بجانبها وهو شاب يدعى فريد ! . . ولا يكاد جاك يقرأ هذا حتى يبدى رغبته فى أن يعلن الحقيقة ويسلم نفسه للعدالة ، فهو يأبى أن يتسبب فى إدانة برىء لم يجن شيئاً ... وتذعر شقيقته لذلك ، وتذكره بأنه لو نفذ تلك الرغبة لقضى على آمال العديدين من أنصاره

السياسيين ، ولحطم الحزب الاشتراكى الذى ينتمى إليه . فأنه سيرأس المؤتمر الذى سيعقده هذا الحزب بعد خمسة عشر يوماً ، ولكنه لا يعبأ بكلامها .. ويقرر أنه لا يقبل أن يضحى بذلك الشاب التعس ؛ فتلح عليه وتلحف وتثير فى نفسه كل حاسة دقيقة لكى تستفزه إلى التفكير فى حزبه ومستقبله السياسى وأنصاره الذين يثقون به ثقة تامة ... ويتأثر چاك بعض الشىء بلهجتها القوية المتحمسة ؛ فيطلب إليها أن تدعه يفكر مدى ساعة ينبئها بعدها بما ينتهى إليه عزمه !

ولكن الخادم يقبل إذ ذاك يعلن أن هناك شخصاً يدعى مارتان جاييه Martin Gayet يلتمس مقابلة چاك لأمر فى غاية الخطورة والأهمية .. ولا يكاد هذا الشخص يدخل حتى يقدم نفسه فإذا به عضو فى الاتحاد السياسى الذى ظل چاك عضواً فيه مدة طويلة ، فهو أقدم الأحزاب السياسية التى انتمى اليها وأعزها لديه . وإذا به والد « فريد » الذى قبض عليه متهماً بقتل الراقصة ريجين ! قدم يعرض أمر النكبة التى حلت بولده على چاك باعتباره محامياً كبيراً عرفت عنه الرغبة الصادقة فى نصرة الأبرياء والمظلومين ؛ وهو يؤكد لچاك براءة ابنه ، ويستشهد على ذلك بحنـــانه الأبوى الذى لا يخطىء ! .. ويقرر أنه قد قابل ابنه فى السجن فأخبره أن القاتل لها صديق آخر ولكنه لا يعلم اسمه ولا شخصيته لأنه كان يتستر غاية التستر ، ولا يدع أحداً يكشف سره ... وتسأله الآنسة أليس عما إذا كان المحققون لم تخطر لهم فكرة موت الراقصة موتاً طبيعياً لا جريمة فيه ؛ فيجيبها بأن الاطباء قرروا وجود آثار أصابع على عنقها ... فلا يكاد چاك يسمع ذلك حتى يهوى الى أحد المقاعد وقد فقد الوعى ، وتدفع هى الزائر الى الخروج نظراً لمرض شقيقها ! وتعده بالكتابة اليه قريباً ...

فاذا خلا چاك الى شقيقته أنبأها بأنه قد أصبح أشـــد عزماً على وجوب الافضــاء للمحققين بكل شيء . فلم يعد هناك بعد رؤية ذلك الأب المسكين التعس مجال للتردد ... واتهمها بأنها أغلقت قلبها فى وجه كل رحمة ، ولـكنها لا تقتنع بذلك فتجيبه :

— إن الرحمة فضيلة الضعفاء !

وتذكر له ان ذلك المتهم المقبوض عليه قد يبرأ دون حاجة الى إعلان الحقيقة من جانبه ... ولـكنه لايثق تماماً من حكم البراءة ، فقد يدان ويحكم عليه بالأشغال الشاقة أو الاعدام ... وتضيق شقيقته به ذرعاً فتقول له :

— لقد تبينت الآن فى نوع من الرعب انك مريض.. مريض يعذب نفسه بنفسه . . إنك تتلذذ بتحطيم نفسك . . بتحطيم جاهك ومستقبلك . إنك تمقت الهناء والسعادة !

ويثور چاك إذ ذاك فيصارحها بأن الحكمة تقضى عليه بالإنفصال عنها ، وإبعادها عن سبيله فى الحياة . فاذا قالت له

— أيها الشقى ! إننى صديقتك الوحيدة .

أجابها

— إنك عدوتى !

ثم يصيح بها ويطردها من المنزل فتخرج بعد أن تقول له

— إنك لست إلا مجنونا تعسا !

فيتبعها وهو يصيح

— أخرجى ! أخرجى ! أخرجى ! كلا . لست مجنونا . لم أجن بعد !

ويسرع الى التليفون ليتحدث الى مكتب النائب العام فلا يجده وعندئذ يطلب الى سكرتيره أن يرجو النائب العام بأن يحادثه تليفونيا بمجرد حضوره ثم يناجي نفسه قائلا

— سأعترف بكل شيء .. سأذهب الى النائب لأفضى بسر جريمتى !

وهنا يصاب جاك بنوع من الاضطراب العقلى فيتجـــه الى مائدة عليها آنية ينمو فيها القرنفل الأحمر الذى رأيناه فى الفصل الأول عند ريجين فينتزع القرنفل بكلتا يديه ويضمه الى صدره وهو يقول فى حنان مجنون

— ريجين ! ياصغيرتى ريجين .. هاهو ذا قرنفلك ! أتذكرين ذلك القرنفل الذى ألقيته تحت قدميك ليلة كنت ترقصين . أنت تذكرين .. آه .. أنت تذكرين « يسمع جرس التليفون » آه ! الأوركسترا ، إنه الأوركسترا إسمعى الموسيقى .. ريجين ! إسمعى ! أرقصى ! أرقصى ياريجين ! ريجين ! أرقصى ! أرقصى !

ثم يسقط فاقد الوعى الى المقعد المجاور الى مكتبه ..

° ° °

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى بهو أحـــد المستشفيات وقد أخذ الطبيب يتحدث الى الآنسة أليس بارسانج فتفهم من حديثهما أن الوزير جاك قد أدخل الى ذلك المستشفى لمعالجته من ذلك الاضطراب العقلى الذى أصابه . كما تعلم أن القضـــاء قد برأ الشاب فريد من تهمة القتل وأطلق سراحه ، ويقبل جاك ليخبر شقيقته برغبته فى الرحيـــل رحلة طويلة . وبأنه ينتظر قدوم ذلك الشاب الذى اتهم بقتل الراقصة ريجين ثم برىء

ولا تكاد شقيقته تخرج حتى يجلس الى مكتبه ويكتب عنوان رسالة كان قد أعدها

ويقبل فريد مارتان جايبه فاذا به قد أصبح ثائراً على كل شيء . متمرداً على الناس والمجتمع . فقد ذاق مرارة السجن ظلما وعرف كيف ان أحب الناس اليه وهو والده قد أصبح يشك فيه ولا يطمئن تماما الى براءته وهو يغلو فى تلك الثورة وذلك التمرد فيعلن لجاك انه لاسبيل لعزائه إلا إدمان المخدرات المورفين أو الحشيش . ويخبره بأن الملهى الذى كانت ترقص فيه ريجين قد أفلس واتخذ الدور الأرضى منه بؤرة لتدخين الحشيش . ويتأثر جاك لحالة ذلك الشاب الشقى فيعرض عليه مساعدته ولكنه يرفض فهو أرفع من أن يقبل المساعدة من أحد .

ويشتد التأثر بجاك إذ ذاك فيعترف لفريد بالحقيقة ويصارحه بأنه هو الذى كان موجوداً مع ريجين عند ما ماتت ، ويذهل فريد لذلك ، ويعطيه جاك تلك الرسالة التى حرر عنوانها منذ لحظة فاذا بها موجهة الى النائب العام يسرد فيها كل شيء ويطلب اليه أن يسلمها الى النائب فهو معتزم السفر ، ولكن فريد لايقنع بذلك فهو يطلب الى جاك أن يذهب بنفسه ويعلن الحقيقة للجميع . فهو لايشفق فى هذا على سمعة الوزير ولا على مايصيبه ذلك الاعتراف العلنى من تلويث حياته السياسية . ويقبل جاك مايطلبه الشاب ثم يتناول المسدس الموضوع على المائدة ويخرج ، وعندئذ يتناول فريد الرسالة التى أعطاها له جاك ويقرأها .

وبينما هو يهم بالخروج يدخل والده مارتان جايبه وسرعان مايعلم من إبنه بأن قاتل ريجين هو الزعيم السياسى جاك بارسانج وانه سيعلن ذلك للجميع باعتبار انها الترضية الوحيدة لفريد

ولا يكاد مارتان جابيه يسمع ذلك حتى يطلب الى ابنه أن يعدل عن ذلك الثمن الذى يريد أن يتقاضاه من بارسانج ، فيكفى أن يستند الى تلك الرسالة فى طلب رد الاعتبار اليه . ولكن فريد لا يهمه العالم أجمع حتى يفكر فى أن يرد اليه اعتباره . بل انه يرمى الى الثأر مَن چاك . . ويحاول الأب بكل طاقته أن يثنى ابنه عن ذلك . . ويتوسل اليه ألا يقضى على حيـــاة زعيم سياسى يجله ويحترمه ... ويلين فريد أخيراً ، ويعطى رسالة چاك الى والده ويترك اليه حرية التصرف فى الامر . ولكن الاب يجيبه قائلا :

ـ كلا . كلا . أنت وحدك تملك الإجهاز أو العفو ...

وفى هذه اللحظة يدوى صوت طلق نارى فى الغرفة المجاورة ، وتظهر الآنسة بارسانج تنبىء بأن شقيقها چاك قد أطلق الرصاص على نفسه . وتسأل فريد عما حدث بينه وبين القتيل فيقول :

ـ لاشىء ياسيدتى . لقد تركنى بارسانج بعد أن أبدى نحوى منتهى الطيبة

ـ أحقاً ما تقول ؟

ـ أجل ياسيدتى .

ـ سادتى . أرجوكم أن تكتموا سر هذا الموت . انه مات مظلوماً . . لقد كان أخى يستحق احترام الجميع ، وكان قلبه أطهر القلوب وليس هناك من هو أحق منه بالرقود مطمئناً تحت صخرة ناصعة البياض ...

ثم يهبط الستار . . فقد انتهت القصة !

عالم ما بعد الحرب

THE INTELLIGENT MAN'S GUIDE TO THE POST WAR WORLD

هذا كتاب حديث صدر منذ مدة قريبة ، فقد ظهرت طبعته الأولى فى خريف عام ١٩٤٨، ولم تكد هذه الطبعة تظهر حتى نفدت ، فأعيد طبعه فى نفس الخريف ... ولقد توفر مؤلفه الأستاذ كول Cole على دراسة مشكلات الحرب العالمية الأخيرة وعالم ما بعد هذه الحرب .

فله كتاب ظهر فى نفس العام عن « حاضر العمـلة ومستقبلها » بحث فيه اتفاقية بريتون وودز Bretton woods والقرض الامريكى والتجـارة الدولية والسياسة المالية .

وله كتاب آخر ظهر عام ١٩٤١ عن « أوروبا وروسيا والمستقبل » .

وله كتاب ثالث ظهر عام ١٩٤٢ عن « بريطانيا العظمى فى عالم ما بعد الحرب » وقد بلغ عدد الكتب التى أصدرها اثناء الحرب الأخيرة وبعدها تسعاً .

وقد بحث المؤلف « السياسة والاقتصاد فى هيئة الأمم المتحدة » فى باب من أبواب كتابه الأخير « مرشد الرجل الذكى إلى عالم ما بعد الحرب » قرر فيه أن أهم ما يجب أن يشغل الأذهان هو الدور الذى ستلعبه هيئة الأمم المتحدة ، وهل تستطيع أو تعجز عن أن تعمل - كهيئة سياسية - على منع الحرب ؟

فلا شك أن مظهر هذه الهيئة الدولية الجديدة يدل على أنها ما تكونت إلا لتحقيق هذا الهدف الذى بدأ فى « دامبارتون أوكس » Dumbarton Oaks عندما وضع ميثاقها ، وفى سان فرانسيسكو عندما نقح هذا الميثاق .. وفى جميع المناقشات العامة التى دارت حول شؤونها بدا جلياً أن الاهتمام الأكبر كان موجهاً لتحقيقه ... فقد انصرفت أذهان الرجال الذين صنعوا تلك الهيئة — ومن بينهم السياسيون — إلى وسائل تنظيم العلاقات السياسية الدولية أكثر من انصرافها إلى مشروعات التعاون الاقتصادى الدولى .

وقد حدث هذا رغم الحقيقة التى لا تزال ماثلة للعيان والتى تتلخص فى أن خيبة عصبة الأمم كانت تعزى إلى حد كبير إلى طابعها السياسى البحت ، وإلى ضعف تكوين الجانب الاقتصادى منها !

وإنى لأؤكد أن هيئة الأمم المتحدة لا يمكن أن تصبح أداة فعالة فى منع الحرب إلا إذا تمكنت من أن تكون أداة فعالة فى تقدم التعاون الاقتصادى الدولى وفى الاشتراك فيه .

ولكن هذا لا يخطر فى بال السياسيين ... بل على العكس ... كان اكتشاف القوة الذرية حافزاً لهم على تركيز اهتمامهم — أكثر من أى وقت مضى — إلى الاستفادة من هيئة الأمم المتحدة كأداة لمنع الحرب !

ولذلك - وتأثراً بهذه الروح - ركزت اختصاصات هامة فى مجلس الأمن على حساب الجمعية العامة التى أصبحت تبدو كهيئة تابعة لمجلس الأمن بعد التعديلات التى أدخلت على مشروع الميثاق .

وبدا التناقض واضحاً عندما أدمج حق « الفيتو » فى صلب النصوص الأخيرة للميثاق التى تمت الموافقة عليها ... وكانت الفكرة المستترة تحت حق الفيتو ، والتى أوحت إلى عقول معظم مندوبى الدول فى سان فرانسيسكو

بالموافقة عليه هى أن أية محاولة لاخضاع دولة عظمى تعنى الحرب... وان هيئة أعدت لمنع الحرب يحسن أن تتلافى أى أمر يمكن أن يترتب عليه هذا الاخضاع . . وأن تكل إلى الطرق الدبلوماسية — لا إلى أى نوع من أنواع الاخضاع بالقوة — مهمة إبعاد الدول العظمى عن أن تشتبك احداها مع الأخريات فى حرب طاحنة .

ولقد نص عهد عصبة الأمم القديمة — رغم تضمنه عدة تحفظات — على فائدة استخدام قوة مجموع أعضائها فى إخضاع المعتدى حتى لو كان هذا المعتدى أحد أعضاء العصبة . . ولكن ميثاق هيئة الأمم المتحدة أغفل هذا كله... فمجلس الأمن وحده هو الذى يملك السلطة فى الأمور التى تمس السلم والحرب.. والقرارات الخاصة بهذا العمل، بل التوصيات بشأنه حرمت على الجمعية العامة ! بل ان مجلس الامن لا يملك ازاء حق الفيتو - الذى منح للدول العظمى - شيئاً ، حتى لو كانت الدولة التى استخدمت الفيتو هى الدولة المعتدية التى اقترح اتخاذ إجراء ضدها !

ولقد كانت الصعوبة الرئيسية التى اعترضت مناقشة المشروع الأول لميثاق الأمم المتحدة فى « دامبارتون أوكس » تحوم حول « الفيتو » الذى عد الاتحاد السوفييتى وجوب ادماجه فى المشروع شرطاً لقبوله عضوية الهيئة الدولية الجديدة ... ولم تختلف الدول اختلافاً كبيراً فى الشعور بالحاجة إلى منح الدول العظمى سلطة خاصة تستأثر بها ؛ وإلى تركيز معظم السلطة فى مجلس الامن الذى يمكن لهذه الدول العظمى أن تتسيطر ، بخلاف الجمعية العامة التى تؤلف على أساس المساواة فى السلطة بين جميع الدول ذوات السيادة ، والتى يمكن للدول الصغيرة فيها أن تتسيطر باعتبار أن لها أكثرية الأصوات... ولكن الفرق الحقيقى بدا فى أن تمسك الدول العظمى بحق « الفيتو » كان معزواً إلى رغبة كل منها فى أن

تحكم بنفسها فى القضية الخاصة بها ... أما الاتحاد السوفييتى فقد تمسك بهذا الحق بشكل لا يمكن تبريره .

ومن اليسير أن نفهم الأسباب التى حدت بالاتحاد السوفييتى إلى الوقوف ذلك الموقف ؛ فإذا نص الميثاق على أن يقترع على القرارات بأغلبية الأصوات فان هذه الأغلبية غالباً ستقترع ضد الاتحاد السوفييتى ؛ وبذلك يتقرر عد الاتحاد السوفييتى مخطئا قانونا بحكم عالم أغلبته من الدول الرأسمالية ، أو بحكم الدول الرأسمالية العظمى إذا اقتصر حق الاقتراع على الدول الخمس العظمى .. ولا شك ان هذا هو ما كان من المؤكد حدوثه ... فمن بين الدول العظمى يبدو ان الولايات المتحدة وبريطانيا تقفان — فى معظم الحالات — ضد طلبات الاتحاد السوفييتى . كما أن فرنسا التى تحاول التوفيق فى بادىء الأمر تميل فى النهاية إلى أن تكون ضد طلبات الاتحاد السوفييتى خشية أن تفصم عرى الصلة بينها وبين الدول الغربية ... أما باقى الدول الست الأخرى التى مثلت فى أول اجتماع لمجلس الامن .. فان هولنده وأوستراليا تتبعان نفس سياسة بريطانيـا . والبرازيل والمكسيك تتبعان سياسة الولايات المتحدة . أما بولنده فتتبع سياسة الاتحاد السوفييتى .

وتبقى مصر ... ووجهة نظر المصريين تتوقف على مجرى العـلاقات بين بريطانيا والدول العربية فى الشرق الأوسط .

فعلى أى وجه قلبنا الوضع نجد أن وجهة نظر الاتحاد السوفييتى تتلخص فى أن الشيوعية لا تزال تعد جريمة معاقباً عليها فى كثير من الدول ، وقوة معارضة لنظام الحكم فى معظم الدول الأخرى .. ولذلك فانها لا يمكن أن يكون النجاح حليفها عند الاقتراع على طلبات الاتحاد السوفييتى فى مجلس الامن .. ولذلك رأى هذا الاتحاد أنه إذا كان عليه أن يشترك فى هذا المجلس دون أن يتنازل عن وجهة نظره الخاصة فان له أن يطلب الضمانات التى تكفل حمايته ضد أغلبية

الأصوات ، والتى تعطيه الحق فى أن يقف ضد أية دولة أخرى بحيث يرغم خصومه إما على تسوية الخلاف وإما على قبول تحطيم هذه الآلة التى أنشئت لتحقيق التعاون العالمى ... ومن الواضح أن هذا كله يمكن تحقيقه مادامت أغلبية الدول تخشى عواقب ذلك التحطيم ... ولذلك فهى تتجه دائما إلى تفادى الكارثة بقبول تسوية الخلافات تسوية ودية !.. فلو لم تكن هيئة الأمم المتحدة موجودة ولو كانت الشؤون الدولية تزاول بالطرق الدبلوماسية القديمة وحدها دون غيرها لساءلت الأمم نفسها — كلما شجر خلاف شديد على أمر بينها — عما إذا كان هذا الخلاف جديراً باعلان الحرب أو المخاطرة بالحرب من أجله أم لا ..؟

ووجود هيئة الأمم المتحدة — رغم النص الرسمى فى ميثاقها على نبذ الحرب — يترك تلك الأمم فى نفس الوضع تجاه نفس السؤال مع فارق واحد هو أنه يتركها تواجه ذلك السؤال بعد أن تكون الأمور موضع الخلاف قد نوقشت بحضور ممثلى عدد من الدول ربما عناها ذلك الخلاف أو لم يعنها مباشرة ... وبعد أن تكون أقصى فرصة لتسوية الخلاف تسوية ودية قد أتيحت .. وكل رجال السياسة فى الدول العظمى يعدون هذا الوضع — رغم انه لا يضمن منع الحرب فى النهاية — أفضل بمراحل من بقاء العالم بدون تلك الآلة الدولية التى تشرف على الاتصالات الدبلوماسية .

وهؤلاء السياسيون محقون فى هذه النظرة بلاشك ، فهيئة الأمم المتحدة قد تعد شيئاً تافهاً فى نظر الذين يطمعون فى تعاون عالمى حق .. ولكنها أفضل من لاشىء ! لأنها ترغم الدول التى يشجر بينها خلاف على أن تتكلم ، وتعيد الكلام على مسمع من دول خرى قبل أن تقرر إعلان الحرب !

• • •

وقد تساءل المؤلف بعد ذلك :

« هل تستطيع هيئة الأمم* المتحـــدة أن تنجح ؟ » .

وأجاب عليه مقرراً : ان هذا الذى ذكره كله لا يقبل فى إجماله إذا كانت إحدى الدول العظمى قد اعتزمت شن حرب على دولة أخرى .. ولكن الواقع ان هذا العزم لا يدور بخلد أحد .. وان الولايات المتحدة — وحدها — هى التى لها من القوة ما يضعها فى مركز القادرة على شن حرب عالمية أخرى !

والساسة الأميركيون على بينة تامة من أن الرأى العام لا يرغب اطلاقا فى أية حركة قد تؤدى إلى تلك الحرب .. فهناك عدد كبير من الاميركيين يلهون بمهاجمة الاتحاد السوفييتى .. كما انهم ليسوا قلة أولئك الذين يتحدثون عن أن الاصطدام بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى أمر لا مفر منه إن عاجلا أو آجلا ، وأنه يجب التأهب لذلك .

ولكن الذين على أهبة التفكير فى حرب عالمية أخرى على انها حقيقة ترسم لها خطة عملية للتنفيذ فى المستقبل القريب عددهم قليل جداً ... أما الاتحاد السوفييتى فزعماؤه على بينة من انهم لا يستطيعون مواجهة حرب أخرى بدون التعرض لكارثة كبرى !

ومهما كانت فكرتهم عن احتمال الاصطدام بأميركا الرأسمالية ، أو حتى عن أن هذا الاصطدام أمر مؤكد على مدى الأيام فان آخر شىء يريدونه هو إثارة هذا الاصطدام الآن ... ولذلك فان زعماء الاتحاد السوفييتى يريدون لهيئة الأمم المتحدة أن تعمل ، ولا يجرؤن على أن يدعوها تنهار إذا استطاعوا أن يدعوها تعمل بحيث لا تتدخل فى شؤون الأمم الأخرى التى تتبع النظام السوفييتى وبحيث لا توقف تغلغل نفوذه بين جيرانه !

ولكن زعماء السوفيت يأبون أى شكل من أشكال التعاون ، قد يؤدى إلى وضع اقتصادهم تحت أى نوع من أنواع الرقابة بواسطة هيئة دولية تمثل

الرأسمالية ، أو أى نوع من النظم السياسية التى يعدها السوفيت رأسمالية ... وهم يأبون أية رقابة من هـذا النوع قد ترغمهم على فتح مصانعهم لتفتيش دولى حتى ولو استطاعوا فى مقابل ذلك أن يطلعوا على أسرار الإنتاج الذرى، لأنهم يأملون - بلاشك - فى أنهم سيتسيطرون على أسرار القوة الذرية قبل مضى زمن طويل ؛ فى الوقت الذى يخشون فيه - إذا سمحوا للأجانب بتفتيش مصانعهم - أن ينكشف ضعفهم الاقتصادى الحالى ، وأن يصبح من اليسير على الولايات المتحدة أن تصمم الخطط الحربية التى تقضى عليهم القضاء المبرم.

فهيئة الأمم المتحدة تستطيع أن تعمل بحق « الفيتو » ومن الخير أن تعمل بهذا الحق على أن تتعطل عن العمل.

وقد يخطر هذا السؤال :

« إذا كانت الدول الخمس العظمى فى مجلس الأمن قد أعطى لها حق « الفيتو » هل كان من الواجب تركيز كل تلك السلطات الواسعة فى ذلك المجلس والهبوط بالجمعية العامة إلى ذلك المستوى التافه من الأهمية ؟ »

ويبدو أن هـذا الوضع كان نتيجة حادث عارض . فالمشروع الأصلى للميثاق الذى نوقش فى « دامبارتون أوكس » لم يكن يتضمن حق « الفيتو » بل نص على أن الدول الحربية العظمى التى كان مقرراً أن تتحمل العمل ضد أى « معتد » هى التى يجب أن تكون لها الكلمة الأخيرة . . وكان هذا النص يعد ضرورياً لضمان تأييد قوة عسكرية فعالة لهيئة الأمم المتحدة إذا استدعى الأمر عملا حاسماً ضد دولة قوية ... وقد روعى فى وضعه أن الحرب الحديثة تجعل الدور الذى تلعبه الدول الصغيرة - من الوجهة العسكرية - تافهاً لايعدو تأييدها للدول الكبرى بالموارد الضرورية والذخيرة .

وتبعاً لذلك رؤى من المعقول أن تحرم تلك الدول الصغيرة من السلطة

فى الاقتراع ، لو انها منحت لها لأعطتها الحق القانونى فى أن ترغم الدول الكبرى أو بعضاً منها على عمل باسم — هيئة الأمم المتحدة — ضد إرادة تلك الدول الكبرى !

ولكن هذا كله لم يعد له محل بعد أن تقرر النص على حق الدول الكبرى فى « الفيتو » لأن الغرض الأول لا يمكن تحققه مع إمكان أية دولة كبرى استعمال حق « الفيتو » . . ولم تعد أية دولة كبرى معرضة لأن يفرض عليها التزام قانونى بأن تعمل ضد رأيها الشخصى ، وبالتالى لم يعد هناك مبرر مقبول لحرمان الدول الصغيرة من اعلان آرائها منفردة أو مجتمعة فى أى خلاف تدعى هيئة الأمم المتحدة للبت فيه.

ولعل هذا كله يصبح واضحاً إذا علمنا أن مشروع ميثاق هذه الهيئة قد وضع قبل أن يقبل مبدأ حق « الفيتو » ، وقد ووفق على ذلك المشروع فى « دامبارتون أوكس » بينما كان الفيتو لايزال يناقش . . وبذلك أدمج الفيتو فى وثيقة دولية كان قد تم وضعها لتغطية الموقف الذى كان محتملا أن ينشأ لو لم يكن حق « الفيتو » الذى منح للدول الكبرى موجوداً !...

الرّجل المتجرّد

L' HOMME NU

شارل ميريه Charles Méré الذى ألخص قصته الرجل المتجرد L'homme Nu كاتب شعبي الى أقصى حدود الكلمة . هو كاتب عنيف غاية العنف ينتج بغزارة غريبة . وكانت قصصه تمثل على غالب مسارح فرنسا وتترجم الى كثير من لغات العالم . حتى أن اللغة العربية قد حظيت بالكثير من قصصه . فنها « الاغراء » و « اللهب » و « ناتاشا » و « الأميرجان » وكل هذه القصص تنجح ويصفق لها النظارة تصفيقاً شديداً لما تحتويه من المواقف العنيفة والمفاجئات الخارقة . ولكن لشارل ميريه نوع آخر اختص به ونبغ فيه مع زميله أندريه ده لورد . ذلك هو الذى يسميه الفرنسيون « جرانجينيول » Grand Guignol وهذا النوع أشد عنفاً من سابقه ! هو نوع يرمى الى إثارة أعصاب الجمهور والتأثير فى أضعف نقط الاحساس البشرى . يقوم على إخراج شخصيات شاذة غريبة تتصادم على المسرح وينتج عن هذا التصادم مواقف كلها هول ورعب وفزع !

وقصة « الرجل المتجرد » من هذا النوع . بل هى مثلت فعلا على مسرح « الجرانجينيول » فلاقت نجاحا هائلا . فهى قصة تعطيك فكرة صادقة عن ذلك النوع الشعبي الناجح . ومن الحق أن نفوز بتلك الفكرة ما دام شارل ميريه فى مقدمة كتاب المسرح الفرنسى الحديث وقد أهله انتاجه المسرحى الغزير لرئاسة « جماعة المؤلفين المسرحيين »

° ° °

نحن فى صالون صغير بقصر أل اهورن القائم باحدى القرى النائية ببلاد التيرول النمسوية وقد أخذ رب القصر الكونت اهورن Ahorn يتحدث الى تابعه كارل Karl . والكونت اهورن — رجل فى الستين من عمره ، شرس الطباع ، عصبي المزاج ، عنيف الحركات . وتسمع أثناء حديثهما صوت هطول الأمطار فى الخارج وتفهم من هذا الحديث أن الأهالى يتحدثون عن ظهور الذئاب باحدى القرى المجاورة . ويتناول اهورن أثناء ذلك سوطا من السياط التى تستعمل فى الصيد . ثم يدور فى الغرفة فيلاحظ على أحد الأدراج أنه مفتوح ويسأل كارل فى فزع عما إذا كانت زوجته قد دخلت الى الصالون أم لا . ويظهر الرعب على وجه كارل وهو ينظر الى السوط ثم يخرج ليرى الكونتس فى غرفتها ويعود فيطمئن سيده بأنها فى غرفتها لم تغادرها .

ثم يقبل أحد الخدم فيخبر سيده بأن هناك سيارة واقفة أمام الباب وفيها شخص جريح فى حاجة الى الاسعاف . فتظهر الدهشة على وجه اهورن وينتهر الخدم لسماحهم لذلك الغريب بالوقوف أمام القصر ولكنهم يفهمونه أن ذلك الغريب فى خطر . وقد علم بأن رب القصر كان طبيبا فيما مضى فحضر اليه ليسعفه . وعندئذ لا يرى أهورن مناصا من أن يسمح له بالدخول فيدخل ذلك الرجل بعد قليل مستنداً الى ذراع أحد الخدم وقد سال منه الدم فاذا به مهندس إيطالى يدعى البرتو دمينيكو Alberto Domenico كان يقود سيارته فى الطريق الملتوى فاصطدمت به وشج زجاج نافذتها وجهه . وتشعر من أسئلة أهورن له أنه يخشى أن يكون ذلك المهندس جاسوسا أرسله بعضهم اليه ولكن البرتو يجيبه بأنه لم يسمع باسمه من قبل ولم يحدثه أحد عنه . ويقوم أهورن باسعافه وتضميد جراحه . فاذا طلب منه البرتو أن يضيفه فى قصره حتى الصباح ظهرت على وجه الكونت علامات الرعب ورفض . ويدوى فى هذه الأثناء صوت الزوجة

فى الخارج . ويلح البرتو فى التوسل الى أهورن أن يسمح له بالمبيت الليلة فى القصر . فى أى مكان . فيرضخ أخيراً . ويستدعى أحد الخدم ليرشد الضيف الى المكان الذى يبيت فيه . ويسمع فى تلك اللحظة صوت عواء حيوان كأنه صادر من أعماق القصر . عواء فظيع يدل على الألم . ويسأل البرتو عن سر ذلك العواء . فلا يجيبه أهورن . ويتحدث الاثنان عن الصيد فيذكر أهورن لضيفه أن بلاد التيرول صالحة للصيد . فيها كثير من الذئاب والدببة . ويشير الى جلد ذئب معلق فى الحائط ويسرد له قصته . فقد خرج يوما مع زوجته الكونتس الى الغابة بعد زواجها بقليل منذ عشرين عاما ففاجأها ذلك الذئب ولكنه تمكن من أن يغرس فى جسمه سكينا ويقتله وتقبل الكونتس بعد قليل فاذا بها فى الخامسة والثلاثين من العمر تدعى أدويج Edwige يقدمها زوجها الى البرتو فلا تكاد تعلم أنه سيبيت فى القصر حتى تسأل مذهولة — هنا ؟

أهورن — « يوجه اليها نظرة آمرة » آه ! أجل !

أدويج — آه !

ويضحك أهورن ضحكة غريبة . ويرتفع صوت العواء ثانية عواء الحيوان المجهول من بعيد فترتعد أدويج وتصيح

— رودلف !... رودلف ! أتسمع ؟ لكن أهورن يجلسها رغما عنها ويقول - آه ! حسناً ... لا شىء !

ثم ينبهها إلى أنها لا يجب أن تبدو أمام الضيف بهذا الضعف العصبى . فاذا عاد الرجلان الى تبادل الحديث . جلست الكونتس تعزف على إحدى الآلات الموسيقية ولكنها بعد قليل تقف عن العزف وتضع وجهها فى يديها ثم تبكى ... ويخلو البرتو الى ادويج فيذكر لها أنه يشعر بأنها تعيش فى هذا القصر عيشة تعسة لا تتفق مع ميولها ورغباتها وتكتب

الكونتس كلمة فى ورقة ثم تمد يدها وتضعها على المائدة وتدنيها من جهة البرتو فيتناولها ويقرأ ما فيها (النجدة !) فاذا عاد الكونت أسر اليه تابعه كارل شيئاً فى أذنه ويلاحظ البرتو وهو يخفى الورقة فيتقدم اليه بسرعة ويطلب اليه أن يريه تلك الورقة فيرفض ويلقى بها الى النار فتلتهمها قبل أن ينالها أهورن . ويخرج البرتو مع كارل ليذهب به الى المكان الذى سوف يقضى فيه الليل . ويرتفع ذلك العواء العجيب مرة أخرى ويظهر التأثر على وجه أهورن وتبدو عليه الرغبة فى أن يخفى صوت ذلك العواء المرتفع فيتقدم الى الآلة الموسيقية ويعزف عليها نفس النغم الذى كانت تعزفه ادويج .

• • •

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة الكونتس فى الطابق الثانى من القصر وقد أرخى الليل سدوله ولم يعكر صفو سكونه المخيم إلا اصوت الآلة الموسيقية التى يعزف عليها الكونت . وبعد قليل يسمع صوت أقدام تقترب من باب الغرفة وصوت أهورن يقول من الخارج :

ـ ادويج ! ادويج ! أتنامين ؟

ولما لاتجيبه ينصرف فتقبل أدويج على بعض العرائس الخشبية تتناولها من أيديها وتداعبها كما لو كانت أطفالا أحياء . ثم تذهب يطء إلى المقعد الطويل فتضع احدى العرائس عليه كما لو كانت ترغب فى أن تدعها تنام ثم تتطور فجأة وتلقى بالعروس إلى الأرض فى ثورة غضب هائلة .

ويسمع دق على النافذة ويظهر فيها شبح رجل هو البرتو دومينيكو فتفتح له ادويج بعد تردد ويذكرها بأنها كتبت له تستنجد به . فتطمئن إليه وتخبره أنها سجينة فى ذلك القصر الذى تجرى به أشياء عجيبة شاذة خطيرة . وأن الكونت أهورن رجل مستبد متوحش يحكم القصر ومن فيه بالسوط غرامه فى أن يخضع كل من يقع تحت يده . وهى تسأل البرتو عما إذا كان مسلحا فيجيبها بأن لديه مسدسه . وتعود فتسهب فى وصف وحشية الكونت وتحذر البرتو من شره فليس لديه إلا استعباد الناس كما يستعبدها هى وكما

يستعبد كارل وغيرهما . وهي تخبره أنها تقضى أيامها وحيدة تصلى وأحيانا تسمع صوت تنفسه خلف الباب كتنفس حيوان . فاذا صاحت أو استنجدت دخل عليها والسوط فى يده . فهو يتلذذ باخضاع الغير واذلاله . ويسأل البرتو عن سر ذلك العواء الذى يدوى فى أرجاء القصر فتجيبه أنه صوت ابنها ! ويدهش الضيف ولكنها تؤكد له ذلك فهو ابنها من اهورن ومع ذلك فقد سجنه أبوه . وهو يبلغ الآن العشرين من عمره . ويتسائل البرتو عن سبب تلك المعاملة الشاذة . فتجيبه بأن أهورن يعتقد أنه ليس ابنه ولذا رباه كما تربى الحيوانات والذئاب . إذ ربطه بالسلسلة وعوده على تلقى ضربات السياط ! وهو يدعى أنه ليس إنسانا وبل ابن مخلوق مجهول . حيوان أو شيطان نالها أثناء نومها ! وهى تؤكد أن اهورن مجنون ويتجلى جنونه فى ذلك الثأر الذى يصبه على ابنه وابنها . وهى تكرر له أنه حرمها من حبها لذلك الابن ومن رؤيتها إياه . فهى لم تره منذ عشرة أعوام إلا مرة واحدة . فاذا به كبر وأصبح فى حجم الرجال ولكنه متجرد من الثياب يرتدى أطمارا بالية تتركه نصف عار . ثم تتقدم إلى أحد الأدراج وتخرج قميصا بشعا مما يستعمل فى تقييد حركات المجانين وتخبر البرتو أن هذا القميص يستعمله اهورن فى تقييد ابنها رودلف . ثم تقول :

— كالمجانين ! . . ولكن الساعة تقترب . . فسوف أطلق سراح رودلف . . ان الذى يحول بينى وبين رودلف هو الكونت اهورن ، تتناول سكينا من سكاكين الصيد ، سأقتله . . وهنا تتحرك قبضة باب الغرفة ويسمع صوت أهورن من الخارج ينادى ادويج أن تفتح له إذ أنه يسمعها تتكلم ويريد أن يعلم من الذى معها . فلما لا تجيبه يقتحم الباب ويدخل وفى يده السوط ولكنه لا يكاد يرى البرتو حتى يخرج صرخة دهشة هائلة . وتتراجع ادويج إلى الوراء . ويحاول اهورن أن يضرب البرتو بالسوط ولكن الأخير يخرج مسدسه . وتنتهز ادويج هذه الفرصة فتضع القميص البشع فوق رأس زوجها وتقيد به حركاته . ويحاول أن يقاوم فلا يستطيع

وتتناول ادويج السوط وتصيح فى ضحكة مجنونة .

ـ الآن.. أنا السيدة الآمرة هنا !

ثم تخرج من جيب أهورن مجموعة من المفاتيح وقبل أن يتمكن البرتو من منعها تغادر الغرفة بسرعة وتغلق الباب خلفها. ويحاول البرتو أن يفتح الباب فلا يستطيع . وعندئذ يخبر أهورن ضيفه أن زوجته مجنونة ويتوسل اليه أن يرفع ذلك القميص عنه لأنه يكاد يختنق . فيفعل البرتو ذلك ويساعد أهورن على الجلوس . ويبدأ الكونت فى شرح ذلك العواء ذلك أنه كان قد سبق فذكر له كيف أن ذئبا هاجمه هو وزوجته فى الغابة بعد زواجهما بشهرين وقد أثرت تلك الحادثة على أعصاب زوجته التى كانت حاملا إذ ذاك تأثيراً شديداً . حتى أنها لما وضعت كان المولود مخلوقا عجيبا شاذا . له أعضاء وفم حيوان ومع ذلك فهو ابنه وابنها ! وقد حاول أن يخرجه عن ذلك الطور الحيوانى وطالما قضى أياما كاملة بجواره يحدثه ويلقنه كيف ينطق الألفاظ الأولى كما يفعل الأطفال . ويحاول أن يوقظ فيه شيئا من الذكاء البشرى. وقد كبر وأصبح رجلا . ولكن أى رجل ! أنه الرجل الفطرى . الرجل المتجرد من العقل . وأحيانا يكون أشد توحشا من أشد الذئاب وحشية ولذا يجب اخضاعه وهو لا يأكل وانما يبتلع الطعام كالحيوانات . ويعض وله شهية غريبة للحم والدم وقد لا يتردد فى أن يبتلعه إذا لم يكن يخاف منه . فهو وحده الذى يستطيع أن يقترب منه . أما أمه فلم يرها قط ولو رآها لقتلها وافترسها . وهو يفضل أن يراها مجنونة على أن تقتل

ويذكر الكونت أثناء هذا الحديث أنه يحب ابنه أكثر من حبه لأى شىء آخر وأن رودلف كثيراً ما يفهم غرضه فتسيل الدموع من عينيه ويجثو تحت قدميه وهو يصيح « أبتاه ! أبتاه ! » ويلتمس العفو منه .

ويرتفع فجأة صوت ذلك العواء الذى سمعناه فى الفصل الأول فاذا هم اهورن بالخروج وجد الباب مغلقا . وفى تلك اللحظة يفتح الباب ويظهر كارل ومعه مجموعة المفاتيح ووجهه مخضب بالدماء وقد تمزقت ثيابه . ويفاجأ الكونت بقوله أن رودلف قد انطلق من السلسلة وأخذ يحوم فى أرجاء القصر ينادى والده ويبحث عنه بعد أن عض والدته الكونتس وألقاها على الأرض . ويسمع العواء مقتربا . ويأخذ الكونت المسدس من البرتو ثم ينادى كما تنادى الكلاب .

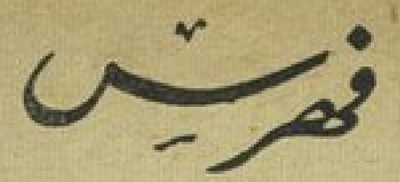
ـ رودلف !

ويظهر رودلف ثم يتقدم وقد مد يديه إلى الأمام كما لو كان يسير على أربع .وطالت مخالبه وبدا أثر الدماء على فمه . ولا يكاد يلمح اهورن حتى يسرع إليه فيأمره أن يجثو على ركبتيه فيخضع ويسأله عن السبب فى تلك الدماء التى تخضب فمه. ثم يضربه بالسوط عدة مرات... وعندئذ تقبل أوديج وهى تصرخ وقد عضت فى عنقها وذراعها وتهدلت ثيابها فاذا التفت اليها رودلف عوى وقبل أن يتمكن اهورن من منعه يهجم عليها ويعض رقبتها فيهوى الكونت بالسوط عليه. ويتناول البرتو السكين من كارل ثم يغرسها فى ظهر رودلف فيترنح ويسقط تحت قدمى أهورن . وعندئذ يهرب كارل ويتبعه البرتو . وتهوى ادويج على المقعد وهى تشخص إلى رودلف يتوجع ويتألم ... وتنتهى القصة بهذا الشكل الهائل

رودلف « تحت قدمى اهورن » ـ هنا !.. هنا !.. « يشير إلى جرحه » أتألم . أتألم .. أبتاه ! أبتاه ..!

« اهورن يضمه بين ذراعيه بحنان »

اهورن ـ رودولف !.. رودولف ! آه !... « يقف وقد جن من الحزن » لقد قتلوه !



مطبعة دار المستقبل
شارع نجيب الريحاني ٣٥